أخطاء صغيرة

مجموعة قصصية

عبد الحميد البسيونى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة إبداعات معاصرة/ ادباء مصر فى الأقاليم)
بالاشتراك مع الهيئة العامة لقصور الثقافة
إشراف: أنس الفقى

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

تصميم الغلاف
والإشراف الفنى:
للفنان : محمود الهندى

المشرف العام :
د. سمير سرحان



أخطاء صغيرة

على سبيل التقديم:

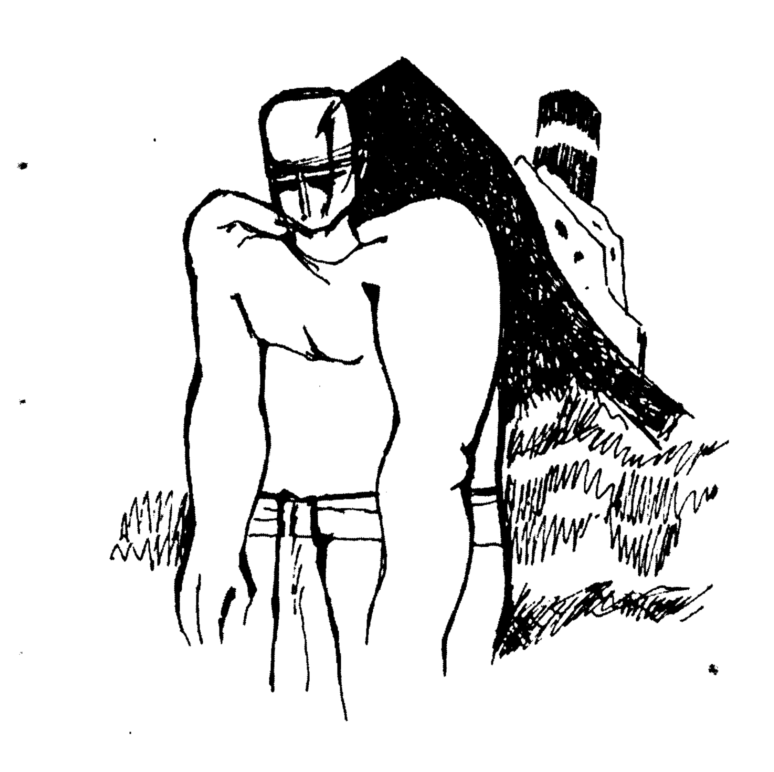
لا سبيل أمامنا للتقدم والرقى وملاحقة العصر إلاّ بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة تتنسم عطرها ربيعًا للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهدًا ووعدًا ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

د. سمير سرحان

الأزهار تغير لونها

هى منطقة أحراش، أشجار غاب كثيفة وأزهار برية بيضاء طالعة تتخللها برك صغيرة آسنة، ونخيل، والنوارس تهجم بكتلتها البيضاء على مياه البرك الصغيرة الآسنة ثم تتجه صوب القناة، المياه المنسابة والسفن التى تعبر، وهم يتطلعون، يعدون شباكهم للصيد ويثرثرون، وفى الغبشة وحيث تختبىء الشمس فى مكر مثل إمرأة محجبة تكون البرودة نافذة فيهرعون إلى عشة "الدبيكي" التى صنعها من جذوع النخيل وشجيرات الغاب ومن الزهور البرية البيضاء الطالعة، جنب الطريق الأسود الأسفلتى الموازى للقناة، حين تبدد الجمرات الملتهبة وبخار الشاى من البراد الأصفر الصدىء وجع البرودة من أجسادهم العارية، بالسروال الأبيض الطويل وبالحلم الأبيض الطويل المكنون ببطن المياه المنسابة والسفن التى تعبر، يكونون فى حضرته هو، وهو "محمد الدبيكي" لم يكن صيادا مثلهم، لكنه كان جنديا إخترقت شظية دماغه ذات حرب فصارت الكلمات لاتخرج من فمه سليمة وصار جنديا قديما لفظته قريته القريبة فبنى عشته وبنى حلما، لكنه يحب الماء ويحب الصيادين ويصنع لهم الشاى والترنيمة مقابل السمك الذى يخرج من الماء والكلمة التى تخرج من القلب، كانوا ـ وبعد أن ينصبوا شباكهم كل فجر ـ يأتون إلى العشة فينشط "الدبيكى" ويضع البراد الأصفر فوق النار ويغسل الأكواب فى صمت، لكنهم يناغشونه، يتندرون فى حب على كلماته التى تخرج بصعوبة، يتندرون وهم يقهقهون ويشربون الشاى الذى

يكون قد صبه لهم وهويتصنع الغضب، ثم يسألونه عن النساء اللاتى عرفهن، وعندما يتحدثون عن النساء يبدأ هو فى الإنفعال والتأتأة، كانوا يدركون بأن "الدبيكى" شأنه شأن المعوقين فى قراهم البعيدة يتمتع بفحولة غير عادية، ويتساءلون فى خبث كيف يشبع هذه الفحولة وهو الكامن فى عشته المعزولة تلك ؟! لكنهم كانوا قد أحبوه بشكل خاص فهو العالم بأسرار الماء وما يحدث بالقناة فى الليل والنهار، وكان هو أول من لاحظ أن السفن التى تعبر قد تغير شكلها، لم تعد سفن بضائع، فهاجمته كوابيس الحروب القديمة وعجز لسانه ـ المريض ـ عن التفوه بالكلمات التى كان يرغب فى قولها، لكنه أضمر فى نفسه فعلا وهم أيضا أخذوا يتطلعون إلى السفن التى تحمل طائرات والتى تعبر أمامهم، أخذوا يتطلعون ثم يطوحون بأيديهم ولا يتكلمون، حتى أنهم قد رأوا تلك السفينة الكبيرة جدا الحاملة للدبابات والجنود، لكنهم ظلوا صامتين أيضا، يطوحون بأيديهم ثم يصمتون، حينئذ باغت "الدبيكى" الجميع وتأتأ: أنى نازل . كان ـ وفى حركة مباغتة أيضا ـ قد خلع جلبابه القديم المبتل ورماه فى ركن العشة، وهو الآن عار تماما بجسده الأسمر ـ الذى كرمشه البرد المفاجىء ـ وهم يتطلعون، كان عليه أن يعبر الطريق الأسفلتى فقط ويقفز فى الماء وكان يتهته: أنى نازل .. وهم لايفهمون، بالضبط لم يفهم أحد منهم ما عن "للدبيكى" حين رأى السفينة الكبيرة جدا قادمة من بعد متجهة صوب الخليج، كانت تتهادى فى بطء بمقدمتها الضخمة وجسدها المذهل قافلة عين الشمس التى كشفت الحجاب الآن لكنها مختبئة خلف جسد السفينة، كان يرفرف عليها علمان، يخبطهما الهواء فيتطوحان بألوانهما العديدة الزاهية، وكانت الدبابات ترقد بداخلها ككائنات حية، متحفزة، والجنود، المنتشرون حول مقدمة الدبابات وخلف



سور السفينة، يحملون رشاشاتهم ويبصون ناحية الطريق، ويبتسمون، يلوحون بأيديهم التى لاتحمل الرشاشات، كانوا يبدون - عن بعد - ككائنات ضئيلة قادمة من بعيد توارى رعبها بالتلويح والإبتسام، وكانت السيارات "المرسيدس" الأنيقة والتى عادة ما تمرق فوق الأسفلت بسرعة جنونية قاصدة بلاجات "فايد" قد هدأت من سرعتها الآن، ثم توقفت وركنت إلى يمين الطريق، ونزل أصحابها وكونوا صفا فوق الأسفلت، بعضهم يرتدى مايوهات البحر ويمسكون بمضارب التنس وهم ينظرون ناحية الجنود ويلوحون، ويبتسمون أيضا، كانت سيارات كثيرة قد توقفت، وعلى طول الطريق تكونت مجموعات من الرجال والنسوة اللآتى يمسكن أطفالهن بيد ويلوحون بالأخرى ناحية السفينة، وعندما إخترق "الدبيكى" الجمع بجسده العارى — والذى لم يعد مكرمشا الآن بل منتصبا - صرخت النسوة وهن يحلقن غير مصدقات . وبعد الإندهاشة الأولى للرجال حاولوا الإمساك به لكنه كان قد قفز إلى الماء وأخذ يسبح كسمكة ناحية مقدمة السفينة التى كانت قد صارت بمحاذاة الجمع وبسرعة خاطفة كان كل شىء قد حدث، فيبدو أن الكائنات الآتية من بعيد والتى تدارى رعبها بالتلويح والإبتسام قد ظنت أن فى الأمر شيئا خطرا فبدأت فى الكف عن التلويح والإبتسام وأمسكت بالرشاشات . وأخذت الطلقات تندفع دفعة واحدة وبكثرة كحبات مطر ناحية جسد "الدبيكى" المنطلق كرمح، ثم بدأت المياه والأشياء فى التلون باللون الأحمر، مياه القناة والطريق الأسفلتى وشجرات الغاب والنخيل وحتى عشة "الدبيكى" وكذلك الزهور البريه التى كانت بيضاء والتى كانت طالعة .

" نشرت فى مجلة أدب ونقد "

حالات

١ - حدائق

كانت تنقل خطواتها ببطء وإجهاد داخل الحديقة، الحديقة ذات النجيل الباهت الإخضرار ذات المساحة الواسعة خلف المدرسة الإبتدائية للغات والتى تدرس بها، بانت الحديقة الواسعة بالبقع الخالية من النجيل فى أماكن كثيرة كأنها ظهر حيوان ضخم قد أكله الجرب، كانت تنقل خطواتها ببطء وقد تمكنت المدينة الصغيرة فى كسر روحها التى تميزت دائما بالتوثب والإشتعال، فقالت لنفسها: الإسماعيلية مدينة صغيرة..

وأخذت تضرب بطرف حذائها الشبيه بأحذية الصبية كرات النجيل الجافة المتكومة فى طريقها، وحاولت - بعد أن أوسعت خطواتها قليلا - الإمساك بمجموعة الأفكار الطائشة كغربان صغيرة سوداء والتى تحاصرها أينما حلت، كان الفضاء فسيحا أمامها ولايوجد فى الأفق غير الأفق، غير شقتها الصغيرة الخالية من الأطفال، غير زوجها التى تعشقه، وتلميذاتها الصغيرات بحقائبهن المعلقة فوق ظهورهن كسوسنات رائعات، فأسرعت من خطوها، أسرعت وقد باغتها شعور طارىء بالفرح، والتوثب، ثم أنها - وقد بدأت حبات

المطر الكبيرة في التساقط ـ أخذت تركض في الحديقة، التي أضحت فجأة كأنها سندس أخضر، أخذت تركض، تركض وتغني.

٢ - تلك المرأة

عند ناصية الشارع الذي أستقل منه أتوبيس الشركة كل صباح أراها، أكاد أكون نائما مازلت والضباب يلف الشارع وأنا أحاول طرد كوابيس الشاشة الصغيرة لكي أستيقظ وأرى، أراها، قادمة من بعيد، من أول الشارع، لا أكاد أميزها وسط الضباب الكثيف وكائنات الصباح الزاحفة عبر الشارع، إمرأة ضئيلة الجسد، تلف رأسها الصغير بشال أصفر، دائما أصفر باهت لكنه ملتف حول الرأس والرقبة في إحكام، حتى أنها تأتي متدحرجة من أول الشارع، في سرعة، كأن شيئا ما يدفعها إلى أمام أو كأنها نازلة في منحدر، تأتي مسرعة وهي تشاور بيد واحدة وتتكلم، تظل تفعل ذلك باستمرار غير عابئة بالعيون المتلصصة في سرعة والتي تمرق إلى جانبها من خلال زجاج السيارات، والعيون الطفلة التي تحمل حقائبها المدرسية تبص لها مندهشة ثم خائفة وتمضي، وهي قادمة، تمر من أمامي في سرعة و هي تحمل طفلها الصغير الذي تدور عيناه الحائرتان تحت البطانية الملفوف بها مثل حبتان من الفستق، ثم أنني تبينت ذات صباح أنها توجه الكلمات والإشارات إلى هذا الإبن، المستكينة رأسه فوق كتفها، الناظر بعينيه الفستقيتين دائما إلى خواء، إلى أن تمكنت في إحدى الصباحات من سماع بعض جملها بوضوح: أوعى يضحكوا عليك .. أوعى ياكلو ساندوتشك .. خليك شجاع .. خليك راجل..

ثم تمضى، تنزلق عبر الشارع إلى الجهة المندفعة إليها، وأنا أنظر إلى الطفل التائه فوق الكتف، وأنظر إلى تلك المرأة .

٣ - يا طيور

* مع الإعتذار لأغنية إسمهان الجميلة *

فى صباح شتائى لكنه دافىء بفعل قرص الشمس المجاهد الذى تمكن من الإنفلات من الغيوم الجاثمة فوق روح الكائنات الحية، والكائنات الميتة، فى ذلك الصباح وقفت المدرسة الجميلة الجسد صاحبة الشامة والوجه المضىء والحذاء الشبيه بأحذية الصبية، وقفت على حافة الحديقة، كانت أشجارها القليلة المتناثرة تقف فى إستكانة غريبة كأنها قابضة على جمر الصمت والخواء والغربان الشديدة السمرة تنتقل من شجرة إلى أخرى فى عصبية وفوضى إلا أنها - الغربان - تمكنت بعد هنيهه من تشكيل بقعة سوداء كبيرة تحركت صوب المدرسة بأسوارها البيضاء ولحمها الرقيق فباغت المدرسة إحساس غريب بأن الكون يسير إلى دماره الحتمى وهمست: لو أنها تمطر .. فى حين إستبدت بها الرغبة فى الجلوس فوق المقعد المجاور كأن الرخام الأبيض المندى يناديها، فجلست، بينما ملاءة الغربان السوداء تحوم حول المدرسة فى دوائر، وهى ترقبها فى صمت، ثم أنها طوحت بدائرة الشعر الكستنائى المقصوص فوق رقبتها البيضاء ووضعت ساقا فوق ساق فبانت شامتها مستديرة وبنية وغامقة وسط البياض المستحيل والذى بدأت البرودة تدغدغه وتحاصره، تعمدت أن تفعل ذلك كى تراها الغربان، وهى سائرة فى خيمتها السوداء أمام

المدرسة مخترقة خضرة الحديقة وبقعتان فقط تبصان إلى وعثاء الطريق، تفرد عباءتها السوداء فى محاولة للتحليق، تنبثق من أول الشارع عند النافورة فى موجات بذقون سوداء خشنة وتلتحم فى دوائر ثم تعلو، وفوق المدرسة تحوم، تحوم ممتصة أشعة الشمس القليلة حاجبة الضوء عن الكتاكيت الصغيرة المغردة فى الحوش، فتهم المدرسة جميلة الجسد صاحبة الشامة فوق الركبة والوجه المضىء بالقيام، لتحتضن كتاكيتها العريانة وتدفئها، لتفرد أجنحتها الكبيرة فوق الحوش وهى تنظر فى صمت وحنق إلى أعلى .



" نشرت فى أخبار الأدب "

الصحراء تغزو

لم تكن سوى الصحراء المحيطة، كانا يجلسان فوق المقعد الأمامي للسيارة، متجاورين، كانت الصحراء ثم مجموعة الأشجار البائسة المغروسة لتحمي المدينة من الرمال، وعلى البعد، هناك خلف بحيرة المنزلة والمدينة العبدة يوجد الأبيض المتوسط، وتوجد الخضرة والنساء الجميلات المتحررات من روث اللازم والواجب والضروري والضارب ـ هنا ـ في نخاع أجسادهن الميتة الصلبة تحت أكوام الملابس التحتية الثقيلة . فقال لها: أنا لا أعرفك جيدا .. هناك جانب بالذات لا أعرفه فيك .

كانت شمس نوفمبر الواهنة تتخلل زجاج السيارة في صمت ثم تذوب في بؤبؤى عينيها، كانا جالسين، في إنتظار القادم، لكنها سرعان ما اكتشفت الخدعة في سؤاله: يمكنك تخيل الباقي . ((هل تعتقدين أن الحياة يمكن أن تستمر هكذا بالتخيل، دائما، لحظات ما قبل الرقاد ولحظات الصباح الضبابية وأحيانا طوال اليوم، هل نظل دائما نبني اللذة في الحلم ؟!)) فقالت له: لماذا لاترد ؟ هه ؟ لقد فعلت ذلك بالفعل من قبل .

الآن تمكنت من إكتشاف لون عينيها، حيرني ذلك كثيرا من قبل، الآن عرفت أنهما عسليتان مستديرتا الحدقات،

أجنبيتان، مع الوجه الأبيض المستدير والشعر الكستنائى المحدد النهايات فوق الظهر النصف دائرى فوق الجبهة التى تلمع فى الضوء. الناعم، مستحيل الملمس فيه دكنة محيرة . وعدة بنايات حكومية جديدة تم بناؤها بالمعونة الأمريكية، وهما منتظران ذلك الذى سوف يأتى فجأة جالسا فوق المقعد الخلفى للسيارة الحكومية البيضاء الفخمة المنزوع عنها لوحاتها الرسمية، والسائق الأسمر الذى سوف يحاصرهما ويقول له: أهلا يا بيه .. الباشا ذهب إلى مكتبه حالا إن كنت تريده . ثم تتوقف عيناه اللزجتان هنيهة فوق قمر وجهها، ناظرا إليها فى حذر، بنصف عين، ثم ينصرف بأدب مصطنع ويقف بعيدا، ليس جدا، البعد الكافى للمراقبة فأقول لها: هل نذهب الآن ؟ أم ندردش قليلا ؟ ووجهها منخفض وبصوت منخفض أيضا: ندردش .

ها هى الصحراء إذن، ويحسان بلسعة الشمس فتتكون قطرة عرق لامعة الإستدارة تحت ذقنها متسربة فوق الرقبة البيضاء فى حنية وخبث ويلعقها بلسانه وفمه: نحن دائما ما نقول عكس ما نشتهى . لكنها ردت قائلة بأن الكلمات لايمكن أن تحتوى الفعل، إنها عاجزة دائما، ثم فكرت فى صواب ما قالته لحظة وفكرت كذلك فى صحة ما تفعله "هو الآن يفكر فى جسدى" لمحت ذلك فى عينيه، هذا الصوت الخشن وتلك البحة، هى تود أن تدخل ذراعها كاملة فى جوف الرجال لتمسك ذلك الشىء، هذه الإرتعاشة والتذبذب، تلك الفوضى الوحشية فى عيونهم . لكنها قالت: ألن يأتى أبدا ؟! هل من المحتمل ألا يجىء هه ؟ ثم أنها سألت: ما لون سيارته ؟! فقلت لها بأنها بيضاء، فرنسية، بيضاء وطويلة، وأنت كذلك ياقطعة الكيك فرنسية وبيضاء لكنك لست طويلة، فالجند كانوا قد تفرقوا فى

المكان، ومن الجائز أن تكون البذرة الأجنبية التى تتوجك الان قد وضعت فى رحم إحدى الجدات بعناية، بينما هى ترتعش من الفضيحة والخوف وهو يكتوى بذل الهزيمة ولذة الكحول . إلا أن صوت الكلاب قد زعق بغتة فى الفراغ، احتوت الصحراء الصوت بينما هى إنكمشت لكنها لم تلتصق به، ونظر هو نحو سرب الكلاب التى تطارد أنثى ممتلئة متدلية اللسان، تجمعوا من أماكن متفرقة وأخذوا يتصايحون، ثم تحركت الكتلة تجاه الأشجار، سيتعاركون حتى الموت ثم يحصل عليها أحدهم، وسوف تقبض الكلبة باستماتة فوقه حتى يتشبع جسدها الممتلىء وترتوى، هى نظرت برهة إلى الكتلة المختفية وراء الأشجار وفهمت الأمر ثم قالت: بيضاء . نعم لابد أن تكون كذلك، لم تعجبه طريقة نطقها للكلمة لكنها همست: شايف الكلاب . كانت تضحك وبينما تفعل ذلك يزداد إحمرار وجهها وتبين أسنانها البيضاء ويشعر أنها ممتلئة ومعطاء ومشتهاة، وتأكد بأنها عبقرية التكوين والقدرة على المنح لكنها الصحراء القذرة التى تفعل فعلها المدمر، هذا الفراغ الممتلىء. بجثث أصدقائه القدامى الفارين من هجير الممرات فى الشرق وقاذفات اللهب العدوة: سرحت فى إيه ؟! نظر إليها، كانت مستكينة وحلوة مثل حلم، وهى إذ تفتح عينيها العسليتين فى اندهاشة طفلة تبص إليه فى ريبة ثم تقول: نحن أصدقاء . أليس كذلك ؟ أرجوك هل سيأتى ؟ فقلت لها والكلمات تخرج من فمى ببطء غريب بأنه قد سمعها ذات مرة تقول بأنها تكره هذه الكلمة، وبأنها - الكلمة - لاتعنى شيئا فلماذا تقولينها الأن ؟ هه ؟ ثم أكد عليها بأن الرجل سوف يأتى: طيب إطلع إسأل عليه . زوجته الآن لابد أنها بالمطبخ، لابد أنها تصرخ ببناتها أن يخرجن كى تتمكن من الإنتهاء من تل المواعين وصنع

الأكل لهن كى يطفحن . ثـم أنـها لابـد أن تقـول: أنـا كـان مـالى والغلب دا .

ولابد أن زوجها الآن يدور ويلف بالشقة مثل عصفور صغير منتـوف الريـش ينتظـر أمـه والطعـام بفمهـا، لكنهـا الصحراء، فيقول: طيب هاطلع أسأل.

وعندما هممت بفتح باب السيارة والنزول لمحت الكتلة آتية عن بعد، إنها الكتلة محملة بفحيح الصحراء وسم الشائع والسائد والضارب فـى النخـاع والتـى تتوجـه نحونـا، إنهـا الصحراء وقد إمتطت أنواقها وجلابيبها وسيوفها وبدأت فى الهجوم الشرس، هى الكلمات المتراكمات الهاربات من الكتب المعتقة وصوت الراديو وال .T.V. والمحافل الدولية، إنهـا الكتلة مرتدية أجساد الكلاب، فتراجعت مسرعا وصرخت فيها بأن تغلق الزجاج: زجاج الشباك بسرعة، وقمت أنا كذلك بغلق النافذة التى إلى جانبى، لأنهم كانوا ينتشرون بسرعة، يمتلىء بهم الفراغ بغتة كخلية أصابها سرطان مفاجىء، كانت الكتلة تتجه نحونا، نحو السيارة، فى سرعة، وكان العسكرى المكلف بحماية البنايات والذى يحمل رشاشـا ينظر ببلاهة إلى الأمر، وكان الهواء قد بدأ يصفر فى أذنى وهى إنكمشت ولبدت جنب الباب، لكنها لم تقترب منى، إنها لم تكن تقترب، لم تقترب، فقلت لنفسى بأنها الصحراء قد هجمت وأمسكت بيدى يدها التى كانت دافئة والتى كانت حنونة.

* مجلة أدب ونقد *

من المقام العراقى

" عن بتول "

(هل كانت بتول إمرأة عادية ؟! هاتان العينان الليليتـان وهذا الشعر الفاحم السواد الناعم الطويل المفرود علـى ظهرها دائما وجسدها الأبيض اللون الذي يبرق حين تنداح المـلاءة السوداء لحظـة دخولها وخروجها مـن "الكرفـان" المقـابل لـى، ذراعان أبيضان عفيان يمسكان بالباب المعدنى وتتخلـع عنهمـا الملاءة فيبرقان في الليل وفى النهـار، هى بتـول وهـج الـروح التى تنفلت من سطوة الجسد وتلـج الأمـاكن الخطـرة وتجـوس حـول منطقـة "الكرفانـات" المحيطـة بالمنشـأة مثـل قطـة بيضـاء صغيرة تحمل الخبز والطبيخ. هل هى إمرأة عادية ؟!

" عند الزجاجة السابعة "

هجم الليل، ففى الناصرية "ذى قار" يهجم الليـل مباغتـا وفجـا، فـى الثوانـى التـى تسبق لحظـة الإضـاءة تلـف منطقـة "الكرفانـات" ظلمـة قاتمـة، مفاجئـة، لاتنتمـى إلـى الظـلام بقـدر إنتمائها إلى شىء غامض، مجهول، هى الظلمـة التـى إخترقت روح "حيدر" والتى يحاول الآن صياغتها فيخرج اللحن مأساويا

ومؤلما يمس شغاف القلب، كان وجهه قد إحتقن وهو يحتضن العود ويدندن ثم قال: أتعرف . لم أتمكن أبدا من الإمساك بكلمات هذا الرجل ..أبدا - كان يحاول أن يغني إحدى قصائد مظفر النواب المكتوبة بالعامية - أمسك بزجاجة العرق السابعة ربما وقلت بأنني لن اجرب العرق رغم إلحاحه، قلت له سأشرب البيرة فقط . ثم سألته هل كلمة العرق من العراق ؟! فضحك ولمعت عيناه وبدى شعره الأسود الغزير الفاحم مثل جبل من الصمت إلى أن قال: تعرف .. ستقتلني يوما .. ستقتلني يوما .. أنت وبتول .

أضيئت أنوار الكرفان فجأة، فجأة حل الضوء كشيء مادى محسوس فهومت الحشرات وطارت وإمتلأت الغرفة بالدخان وتمكنت من رؤية بتول وهى تسرى فى دمه، كنت أوقن بأن الفنان المحبط بداخله فى حاجة إلى بتول بالتحديد كى يتمكن من التشكيل النهائى والتجسيد وبأن هذه المرأة غير العادية قادرة على غزو الروح وإصابتها بالإشتعال، ومنذ تطوع زوجها إلى الجبهة الإيرانية وهى قد تنفست الصعداء وقال: عندكم فى الصعيد يشربونه أيضا ثم قرر: لا أعرف لماذا يسمونه هكذا لكننى أعرف أنه الوحيد الذى يحل فى جسدى محل بتول .

كانت هى التى أضاءت، هى التىتحمل مفتاح "الكرفان" وتمتلك حرية الدخول والخروج، وعند حضورها - الذى كان له وقع لابد على روح حيدر - كنت أخرج على الفور تاركا لهما المكان، كنت أرى لحظتها فى عينيها السوداوين النفاذتين بريق إمتنان ودهشة فتقول إجعد إستاذ .. أنا طالعة حالا .

وضعت إناء فوق المنضدة كان يتصاعد منه بخار من تحت الغطاء بينما حيدر ينظر إليها فى غضب: لماذا العجلة

بادراكولا ؟! هل البطل هناك ؟! أحس بخشونة الوقع الصلد للكلمات، ودهشت لأن الكرفان كان يركض فى الفضاء مثل عربة قطار سريع وخلال زجاج النافذة كانت الأشجار الجافة والكلاب والقطط والزرع والحيوانات الجبلية تركض فى الإتجاه المعاكس .

" ايكولوجيا "

يحتضن الفرات العريق مدينة الناصرية ـ ذى قار ـ بشدة قبل أن يتركها ـ ويلتقى بنهر دجلة عند (القرنة) فى الجنوب، وهى ـ المدينة ـ تقع فى منخفض حيث تصب عليها الصحراء وابلا من الأتربة معظم فترات السنة، هذه العواصف الترابية المسماة "بالعجاج" تتسلل فى هدوء وخبث إلى البيبان والشبابيك الموصدة دائما . والمحكمة الإغلاق فوق مخاوفها، وشكوكها الدفينة من الغرباء، ضامة نسائها عربيات العيون فى توتر مخاتل، فى همجية مرة حيث يتسلقن الأسطح فى ليالي الصيف الحاره فارشات الشراشف فوق بلاطها الكبير كابتات رغبات أجسادهن المتأججة حيث رجالهن يحاربون على طول الحدود والأشقاء العرب يجدلون الجبهة الداخلية فى حزم وعيونهم فوق شبابيك فرع مصرف الرافدين، إلا أن المدينة ـ فى النهاية ـ ترفض أن تمنح أحدا حق المواطنة، ويهيجها، العجاج دائما والغرباء ـ وهى المنفى لكل المغضوب عليهم ـ فتجأر الرياح وتهتز أشجار التمر فى فوضى إلى أن تحمر سماء الناصرية ـ ذى قار ـ دائما بلون الدم .

" عند منتصف الزجاجة الثانية عشرة "

هل بدأت الأشياء فى السكون ؟! لأن الأكواب الزجاجية فوق المنضدة الخشبية كانت لاتتحرك، وكذلك اللوحات العالمية

التى إنتقاها حيدر بعناية فائقة وصنع لهـا إطـارا خشبيا جميلا وعلقهـا فـوق حيطـان الغرفـة كـانت ثابتـة أيضـا، كـانت يـده الحساسة هى التى تتحرك، فى بطء ولمدد متقطعة تهتز أوتـار العود ثم فى دفقة واحدة يصل إلى الصوت العالى الذى يعذبه، صوت يشبه الأنين أو الوجع الكونى الذى يسحق العظم والروح ويحولهما إلى مسحوق أبيض ناصع يذوب فى مياه الفرات المتدفقة بدون طمى، الحمراء فى لون الشفق، كنت أرقبه فى صمت وأنا واثق تماما بأن الأساطير القديمة قد تلبسته وأن موسيقى البناء الشامخ الذى على وشك الإنهيار قد بدأت خربشتها الكاوية مع العرق فى أحشائه وأنـه ـ هو ذاته على وشك الإنهيار التام أو الإكتمـال التـام، وكذلك كـان علـى وشك الإنتهاء من لحنه الأساسى لكلمات الشاعر المطـارد حتـى أننـى سمعته يهمس: أجولك .. هسـمعك حاجـه لشيخكم الضريـر ... تسمع ؟ فقلت له بأن مشايخنا يفعلون أشياء أخرى لكن الصوت بدأ ينساب فى الصمت فيجرحـه: يـا نسيم الحب لمـا هب هز القلب هزة ... يا هوى الأحلام يا عزة .. رأسى ساخنة تماما والحمى تملكتنى وإنبثق بغتة فى الصمت العالم القديم كأنـه آت من عصر سحيق "وعزة" ذاتها بوجهها الأبيض الشاحب تغنـى نفس الكلمات بعصبية ظاهرة لكـن فـى حيـاء ظـاهر أيضـا والأصدقاء القدامى يشعرون بالنشوة التـى تسبق الهمود الكامل، كأنهـا النشـــوة التـى بعدهـا تضمحـل الأعضـاء وتتضاءل ويسقط الحلم فوق أرض الكرفان بسجادتها الغامقة الزرقة وتبدأ الأشياء الساكنة فى التحلحل وأبص فى إندهاشة غريبة لإبتسامة "الموناليزا" الفاجرة ويد حيدر الدسمة وهى تشهق كبندول غزل فى مصنع قديم وقد إزداد وجهه إحمرارا غامقا فى الظل ككبد حيوان معلقة فى محل جزارة مهمـل



والسرير الوحيد بالغرفة مرتب ومكتنب كأنه على وشك فعل ما والدولاب المحفور داخل الحائط بأرففه المدهونة بلاكيه أبيض دسم موارب بابه وأرففه مستكينة فوق بعضها حاملة قمصان حيدر وملابسه التى أتى بها من 'ديالى' موطنه فى الشمال والتى لابد قد رتبتها فوق بعضها أمه الرائعة المجعدة الفم الطيبة التى أوصتنى عليه قبل رجوعها إلى 'ديالى' وهى مرتعشة اليد بعد أن أخبرتنى أنهم أخذوا أخيه المدرس دون أن تتمكن من وداعه الوداع الأخير وأن حيدر الوحيد الباقى لها فى هذا العالم وأنها نصحته كثيرا لكنه لايريد أن يبرد قلبها ويرعوى .. يرعوى . وهكذا دخلوا، كان باب الكرفان قد فتح بعنف، دفعة واحدة، ورأيتهم، هل هم ثلاثة رجال من الجيش الشعبى أم أربعة ؟! كانوا قد إلتفوا حولنا، فتوقفت يد حيدر وهمدت فوق العود وقد فهمت كل شىء، ضربنى أحدهم بكعب بندقيته الطويلة وصرخ: أخرج إنت ..

هل أعرفه ؟! هل رأيته فى أمن المنشأة من قبل ؟! وظهرى للباب المعدنى المطفأ سمعت الطلقات، أربعة طلقات متتابعة، ورأيت الدم، إنبثق كنافورة ردينة البناء شيدت باستهتار بميادين الناصرية ـ ذى قار ـ العامة، لكننى أيضا رايت: 'بتول' وهى تنسحب من ورائى، متسللة فى رقة، شفافة، غير مرئية، وهى تحتضن العود .

ـ عود حيدر الملوث بالدم ـ تحت عباءتها، بين القلب والكبد، فى حنو، وفى رقة، كأنهما طفلتان مرتعشتان تعبران شارعا موحلا، موحلا ببرك الظلمة، وبرك الدم .

' مجلة زرقاء '

وسام صغير لسيد

أمسك الضابط بجواز السفر فى يده وجعله معلقا للحظة، دق قلبه قليلا، وكان الزحام شديدا فى هذا الوقت من الليل، دقق الضابط فى شاشة الجهاز، دق فوق الأزرار السوداء أمامه وإنتظر برهة، بانت فوق الشاشة كتابة خضراء بلغة إنجليزية معقدة فلم يحاول فك طلاسمها .. ثم فجأة أمسك بالجواز فى قرف ووضعه فوق المنضدة البيضاء، وأمسك بالختم، ودق فوقه فإنطبع مستطيل أزرق صغير بداخله كلمة "مغادرة" وبقرف وربما بتعب أيضا أعطاه جواز سفره وزعق: التالى وهى، كانت ضامرة، جافة فى فستانها الأسود المخيط على عجل، عيناها ذابلتان ومحترقتان، إنفلتت من الزحمة وإتجهت إليه، كان قد أمسك بجواز سفره وإبتعد عن الضابط وهو غير مصدق، ووجدها، قال: إنتهت كل الإجراءات .. أوراقك وأوراقى وأوراق المرحوم "سيد" .

تكاثفت الأجساد حول اللوحة المضاءة بالنيون والتى تصدر إشارات وومضات ضونية متقطعة معلنة عن وصول الطائرات، إقترب الذين يعرفون القراءة من اللوحة وحدقوا للحظة، ثم إنصرفوا، وهى فكرت: جسده الآن بارد ووحيد.

إنفرط عقد الأجساد الحية، الفرحة بالعودة للوطن، المرهقة، زحفت الزحمة نحوهما فالتصقت به، أحس بها مرتعدة ودافئة وإشتم رائحة عرقها، عرق الأنثى، ليست أنثاه بعد، لكن الرائحة كانت نفاذة وقاسية قال له "سيد" ذات صباح: سأذهب غدا .. لقد تكلمت مع "أبو عدنان" بالفعل . فقلت له لماذا ؟! لاتذهب . حربنا ليست هنا وليست الآن .

لكنه تكلم عن الجبهة الشرقية للأمة وقصر النظر وبعد النظر فقلت له يبدو أنك ستذهب فعلا . إطمئن: مني ستكون في عيني وهي بجانبه الآن، مرتعدة ودافئة، وكتلة الأجساد قد تحركت قليلا، تأملتهم: مرهقون، فلاحون يحملون أجهزة التسجيل الضخمة في أيديهم ويلبسون البلاطي الصوفية واللآسات الصوفية، مكدودون، وصفر الوجوه لكنهم فرحون: محاسبون أطباء مدرسون مهندسون بناءون وفنيون مثل "سيد". قالت له عند وصولها وهي تتأمل "الكرفان" الصغير المرتب: لقد إحتفلوا بي في الطائرة عندما علموا بأنني عروسه، أعلن الكابتن ترحيبه بي وأعطتني المضيفة باقة ورد، وأمنية، وهلل الصعايدة وزغرد واحد منهم مقلدا إمرأة، أكان لابد أن تذهب ياسيد ؟!

أحست به إلى جانبها، وإكتشفت أنها ملتصقة به أكثر من اللآزم، وأنه طيب، ولمحت أحد المصريين يخبيء دولارات في الجورب وعمال هنود يتكلمون بسرعة وبصوت عال ومضيفة عراقية تركض فوق أرض المطار الزلقة. وأحست بالوهن وبأن جسدها يتحلل وبوغتت: مني تشربي حاجه ؟ نعم قالت: فليذهب أبو عدنان في داهية، نحن هنا للعمل فقط، قلت له لن تذهب ولو على جثتي لكنه قام، إرتدى البدلة الخضراء في هدوء وحمل البندقية الطويلة والحقيبة وخرج . جاء، في

يده اليمنى علبة بيبسى حمراء فارغة، وفى يده اليسرى علبة بيبسى خضراء مغلقة، ألقى العلبة الفارغة فى سلة المهملات القريبة ومد لها يده بالعلبة المغلقة الخضراء، كانت جالسة فى هدوء، وثوبها الأسود المخيط على عجل واسع قليلا عند فتحة الصدر الذى أضاء ـ وهو يراه من أعلى ـ بحلمتيه الداكنتين الصلبتين: سارحة فى إيه ؟! إنتبهت، وجدته واقفا أمامها حاملا علبة البيبسى المثلجة، كان الجو قد صار حارا وبدأت حبات العرق الصغيرة تنبت بين خلاياها خشنة ومدببة كإبر فتشعرها بالقرف، نفس الشعور الذى كان ينتابها حين إنقطاع الكهرباء فى "الكرفان" حين يهجم الحر البغدادى دون رحمة، وحين تتسمع وقع أقدام الشمس الرهيبة فوق النباتات الصغيرة فى الخارج، تتسمع هسيس تهشمها البطىء مختلطا بعواء الكلاب الآسيوية الأبنوسية طويلة الأرجل والمستجيرة بظل "الكرفان" . وحين هجمت الضجة إرتجفت أيضا، كان ثلاثة من الشرطة يمسكون بالرجل، كان قميصه ممزقا وشبه مخلوع عن جسده الرفيع المتشنج وهو يزعق بلغة غريبة لم تسمعها من قبل، وكان صدره العارى يلمع فى الضوء الخافت ويشير نحو شىء ما، كانوا يجذبونه إلى الممر المؤدى إلى الخارج وأحدهم يهوى بعصا رفيعة فوق ظهره الذى يلمع من العرى والعرق، والزحمة تفسح لهما طريقا بسرعة، وعندما صاروا خارج الصالة هدأت الضجة: خريش صوته داخل أذنها إتفضلى البيبسى، وقفت إلى جانبه وتناولت العلبة الخضراء والتى كانت الشبورة على حوافها قد تحولت إلى قطرات ماء باردة تبلل يديها ففكرت: إن جسده الآن بارد .. ووحيد .

وهو أيضا كان يتابع المشهد، وعندما هدأت الضجة قال لها: إتفضلى البيبسى .. ولما وقفت أخذت تدعك يديها فقال

لها: حاولت أن أمنعه .. قالت: أعرف .. قال: لماذا فعل ذلك ؟ فقالت: لا أعرف .. وأحس أنها لاتريد أن تقول شيئا: كان صديقى الوحيد . فقالت أعرف . إنتبه إلى أن جمال وجهها الهادىء لايرجع فقط إلى طابع الحسن فى ذقنها أو إلى الغمازتين في خديها، ثمة شيء آسر فى وجهها حين تتطلع إلى أعلى فقال: أوصانى بك عند ذهابه فأخبرته أنك فى عينيى . صمت قليلا . وجف حلقه قليلا، وأنت الآن فى قلبى . إهتز الزغب الأصفر الخفيف فوق شفتيها الدقيقتين وهى تتساءل : نعم ؟! ثم تطلعت إليه وهو واقف، عينان سوداوان تتطلعان، نظرة لامبالية لكنها عارفة، كانت قطرات العرق تشق طريقها فى صعوبة مخترقة مسامه وهو يقول: كانوا قد سيطروا عليه تماما منذ اليوم الأول ولكن لماذا هو بالذات ؟ رآه وحيدا وهو يجهز لها "الكرفان" عندما أخبرته بمجيئها وكان الجميع يتجنبونه، يظل الواحد منهم ـ فى المكاتب أو بالورش يهمس فى أذن زميله وعندما يراه قادما يصمت فجأة، ثم ينظر إليه، ربما يتفل ويتمتم بشتيمة غامضة، وكان يزوره بالفندق فى الليل ويقول له: كل واحد متعلق من عرقوبه .. مسألة نسبية، أولاد الكلب الجهلة . فكان يصنع له الشاى ويهدئه ويطبطب على كلماته: أنت الوحيد الذى يفهم، أنت صديقى الوحيد .

فقالت لنفسها: لقد حصحص الحق الآن وقالت له: عايزها إيه ؟ كان واقفا ينظر ناحية الكتب فجفل: هه .. آه .. زيادة لو سمحتى . فنظرت إليه برهة، ثم أنها خرجت ـ عبر طرقة الكرفان الضيقة ـ ناحية المطبخ، وهو نظر إلى رف الكتب، وجد أن معظمها مطبوعات دعائية غير مغرية بالقراءة فجلس، تذكر قريته البعيدة اللابدة فى حضن الدلتا وأمه وهى تنثر الحبوب لحيواناتها الداجنة فى الحوش وهى تهمس له:

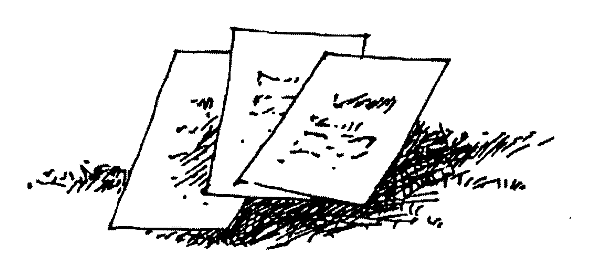


مش حتتجوز ياضنايا ؟ وبهمس أيضا جاءه الصوت: القهوة . وهو يتناول فنجانه لمست أظافرها الطويلة المفضضة لحم كفه فإرتجف وقعد بسرعة وقال: كيف الحال ؟!

وقالت لنفسها لقد حصحص الحق الآن وسوف يتكلم . كانت ترقبه ناظرة فى عينيه مباشرة . لماذا لايتكلم ؟! إلا أنه كان قد شرب القهوة فقالت له: الحمد لله .. نحمده . ثم راحت تتأمله: أطول من "سيد" كثيرا ورفيع لكنه لايتكلم، وهو بالتأكيد مختلف، طالما لم يذهب فهو مختلف، كانت ترتدى "بيجاما" بيضاء منقوشة بورود حمراء صغيرة ووجدها تنظر فى عينيه مباشرة فإرتبك: هل يرسل رسائل من هناك ؟ قالت: مرة واحدة مع أبو عدنان، وكانت لاتزال تنظر فى عينيه، هل يأتى إلى هنا كثيرا ؟ أقصد أبو عدنان ؟! ثم قام فجأة وإتجه صوب باب "الكرفان" وخرج . لمح الكلاب الأبنوسية الهزيلة واقفة أمام الباب وعندما أغلقه أحدث صوتا ولمعت أشعة الشمس فوق إطارة الألمنيوم لمعات خاطفة فقال: لقد أخطأ "سيد" حين ذهب . وقال: كم هى جميلة ووحيدة . عند ذلك سمعوا الصوت واضحا فى الميكرفون الداخلى .. السيدة منى عبد الرحيم .. السيدة منى عبد الرحيم المسافرة إلى القاهرة . كان صوت سيدة، حازما ورقيقا: مطلوبة فورا بشركة الطيران العراقية .. وكان الصوت واضحا، إستقبلتهما سيدة بيضاء بدينة ترتدى جونلة خضراء وبلوزة خضراء أيضا، وإبتسمت، وقادتهما إلى الداخل، حيث كان أبو عدنان جالسا على جنب، وفى المواجهة يجلس ضابط أحمر الوجه ويدخن . هب أبو عدنان واقفا عندما رآهما يدخلان . قال: أهلا وسهلا .. أهلا ست منى . وسلم عليه بحرارة، إقترب منه، كان قصيرا وسمينا، إضطر إلى أن يشب قليلا حتى يخبط الكتف بالكتف، مرتان، وإبتسم، كان

عرقانا .. قال: الرفيق شامل .. مسؤول العلاقات العامة . وجلس، وهي جلست في مواجهة الضابط الذي أطفأ السيجارة في المنفضدة أمامه فوق المكتب بعصبية ثم إبتسم وقال أهلا . كان وجهه أحمرا وكان محرجا لكنه قال: ست مني .. زوجك الشهيد سيد كان بطلا .. ولم تدعه يكمل وقالت:نعم . أشعل سيجارة أخرى، وأخرج من جيبه علبة سوداء صغيرة ومد يده إليها فقالت: ما هذا ؟! صمت قليلا، ووقف أبو عدنان ثم جلس مرة أخرى، قال: وسام صغير . لمحت وهي تضع العلبة في حقيبة يدها إسم زوجها منقوشا بماء الذهب فوق ظهر العلبة، وفجأة وقف الضابط ونظر ناحية أبو عدنان الذي وقف هو الأخر، عندئذ دخلت السيدة ذات "اليونيفورم" الأخضر وقال لها: أوصلي الجماعة حتى باب الطائرة، فاهمة ؟! كان يكرر كلمة فاهمة وهو لاينظر إليها، فأخذت تهز رأسها هزات سريعة: صار .. سلم أبو عدنان، وسلم الضابط وهو ينظر إليها: ست مني نحن تحت أمرك دائما .. في أي وقت .. أهلا وسهلا . خرج هو أولا ثم أبو عدنان، وصحبتهما السيدة البيضاء عبر الممر، فلم تلمح الزحمة في الصالة، كانوا يقفون في طوابير طويلة، يحملون جوازات سفرهم الخضراء وكارتات بيضاء في أيديهم، تقدمتهم السيدة وهي تمشي بسرعة، متخطية الطابور الذي كان قد بدأ في الخروج من الصالة إلى الباصات المنتظرة أمام الباب الزجاجي، وعندما رآها الجنود الذين يقفون أمام الباب أفسحوا لها مكانا بسرعة، مرقت خارج الصالة، وهم وراءها دون أن ينظر الضابط الواقف خلف الباب الزجاجي إلى أوراقهم، وعندما صعدوا داخل الأتوبيس أمرت السائق أن يتحرك، نظر إليها برهه ثم نظر ناحية الطابور لكنه أشعل الموتور وتحرك . كانت قطرات الندى قد بدأت في التساقط

وكتل الشبورة تتحرك على بعد كفيلة هامة بالإستيقاظ، وكانت "الجامبو" رابضة فوق الأسفلت اللامع ودوائر ضونية حمراء تدور على بعد، فى أماكن متفرقة، وعند باب الطائرة سلمت عليها السيدة بحرارة: مع السلامة ست منى .. أهلا وسهلا، وقبلتها . وهو كان قد بدأ فى الصعود على سلم الطائرة وأمسك بيدها وهى تصعد، كانت عرقانة ودافئة رغم برودة الجو، وفى داخل الطائرة، لم يكن أحد قد صعد بعد . رحبت بهم المضيفة بإبتسامة واسعة وأحضرت الجرائد والمطبوعات، ثم أنها طلبت كوب ماء وإسترخت فوق الكرسى المريح فاردة ظهرها إلى الخلف وقالت: آه .. وأنامت ذراعها فوق الحاجز الذى يفصل بين كرسيهما، إلا أنه قد بحث بكفه المتصلبة عن كفها حتى وجده، كان عرقانا ودافئا ونائما فى بطن كفه بإستسلام كأنه عصفور صغير حائر .



بريد وبرق وهاتف

١ - رسالتان

• جلس فوق المقعد الرخامى تحت محطة "الباص" قرب "ساحة الشهداء" . رآهم يتجولون بلا هدف حول الميدان، يهمون بفعل شىء ما ثم يتوقفون، تأمل التمثال المقابل، إمرأة برونزية الجسد تحمل - بطريقة ما - أربعين قدرا فخاريا . ونافورة ماء . أخرج الرسالة المطوية من جيب سترته، وبسطها: الأولاد بخير، لاأستطيع تحمل شقاوتهم، بدأوا يسألون عنك بالحاح، أجد صعوبة فى متابعة دروسهم الإنجليزية، كما أن "سارة" قد بدأت تسلك سلوكا مشوها .

• كان الرجال، بعد أن تعبوا، قد إفترشوا النجيل الأخضر قرب المحطة، كانوا قد جلسوا فى شبه دائرة . بجلابيبهم الصوفية القديمة، وأخرج أحدهم لفة بها بقايا طعام، وعن قرب . وقف جندى مرور عراقى يتأملهم . بالأمس كتب لها: أنا بخير . إطمئنى . شعرت فى البداية بصعوبة فى التعامل مع الناس هنا، ولكننى الآن بخير، لن أتمكن من تحويل نقود لك الآن، إهتمى بالأولاد خاصة "سارة" فهى قد كبرت أكثر من اللازم - كان قد نسى أن يكتب لها بأن عينيها رائعتان .

* جاء مزيد من الرجال، وتخطوا جندى المرور العراقى وإقتربوا من الرجال الآخرين، كانوا يرتدون أيضا الجلابيب الصوفية ويحملون فى أيديهم حقائب بنية صغيرة مكتوبة اسماؤهم عليها بخط واضح ورديء وكذلك أسماء القرى التى نزحوا منها، وفى الأجناب ملصوق بعناية بقايا تكت "شركة مصر للطيران" . تشاغل عنهم بمتابعة الرسالة: لقد أوحشتنى جدا، لاتشغل بالك بمسألة الفلوس، سأتدبر أمرى لحين وصول الحوالة، أعرف أنك ستلاقى الصعوبات، لكن تحمل من أجلى، ومن أجل مستقبل الأولاد، وعلى فكرة، سارة تخبرك بأن أول شيء ترسله جهاز تسجيل صغير حتى تسمع الشرائط التى سوف ترسلها فى المستقبل .

* كانت سيارة "تيوتا" صغيرة مكتوب على لوحتها ـ بغداد خصوصى ـ قد إقتربت من جندى المرور والرجال، ثم توقفت، نزل منها رجل وإمرأتان، وثلاثة أطفال، توقفوا برهة ثم صوبوا أعينهم ناحية الرجال القاعدين وأخذوا يتطلعون .

بالأمس كتب لها: لم أجد صعوبة فى التعاقد معهم عندما علموا بأننى إشتغلت "بشيراتون القاهرة" لمدة خمس سنوات، وعلى فكرة، شيراتون بغداد يشبه جدا شيراتون القاهرة، أنا أعمل بصيانة الأجهزة أيضا، ومدير الصيانة الإنجليزى يتابع ـ ببرود ـ الخلاف الذى حدثتك عنه قبل ذلك بينى وبين رئيس القسم الهندى، لاتخافى، الزملاء العراقيون يقفون فى صفى، خاصة العراقيات، وكذلك رجل النقابة الذى حدثتك عنه، يعمل معى نساء من الهند، والفلبين، وعراقيات طبعا، لكن لاتخافى . فأنت التى فى القلب .

* كان أحد "الباصات" قد توقف أمامه مباشرة، لم ينزل أحد، سوى شاب أشقر يرتدى زى الجيش، نظر نحوه، ثم نظر

نحو الرجال وتمتم ببضع كلمات عامية لم يتمكن من فهمها، ثم مضى . طوى الرسالة برفق ووضعها بجيب سترته الداخلى . قام . هم بالذهاب إلى شيراتون بغداد لكنه توقف .. نظر ناحية الرجال . ثم مضى إليهم .

٢ ـ عشق ليلى

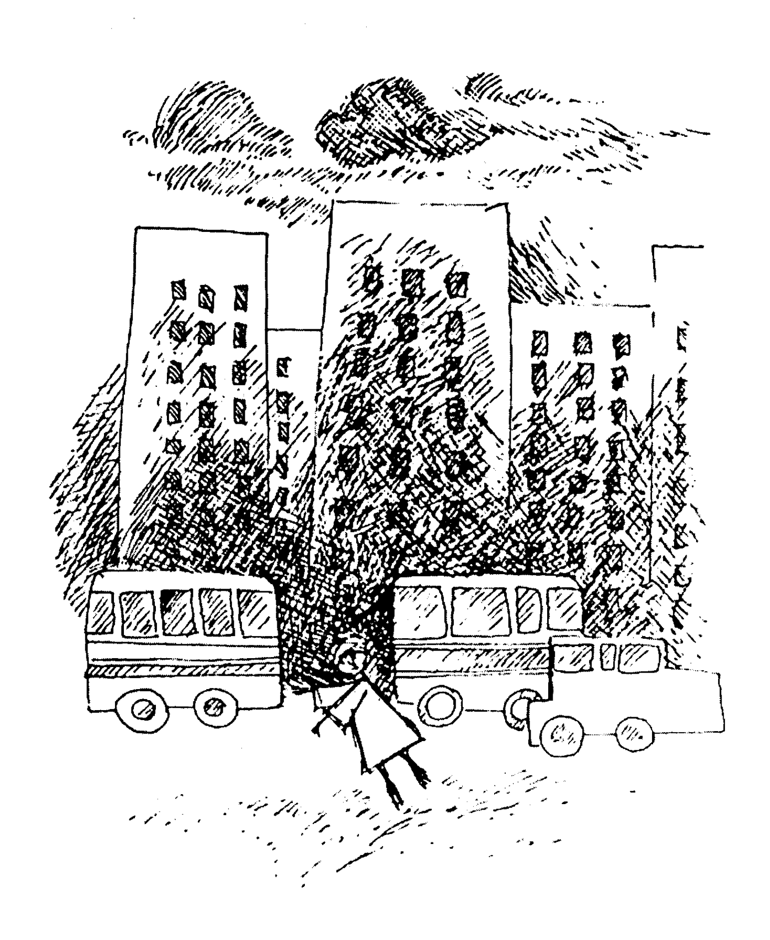
كان جالسا فوق الكرسى الخشبى المستدير ينتظر، وثلاثة من زملائه ... والسنترال خاو فى هذا الوقت من ليل المدينة البارد، والمدينة نائمة فى حضن الفرات خائفة من البرد ومن الليل، وعامل السنترال منهمك فى رفع سماعات وإدخال أطراف سوداء مدببة فى لوحة أمامه وبين اللحظة والأخرى ينظر إليهم ويبتسم . لكن هو لم يكن يبتسم، كان يفكر، وكان يخرج علبة سجائره فى إرتباك ويتمشى ناحية عامل السنترال ثم يعود ويشعل واحدة، ربما يتركها فى فمه دون إشعال، ويستمع لعامل السنترال، وهو يقول لمصطفى صديقه: نعم .. نعم .. دونت الأرقام كلها .. القاهرة والمنصورة وطنطا والسويس . ثم يبتسم ويقول: صار عينى.. صار .

ربما يمرق مصطفى الآن إلى المطعم المواجه للسنترال قبل أن يشطب ليحضر الكباب والخبز، ويكون آخر جندى حرب قد خرج مهرولا بعد أن يكون قد أطفأ سيجارته بسرعة بالمطفأة الكبيرة التى تشبه زهرة كبيرة خلف الباب، أو ربما يحضر دجاجا مشويا وخبزا ويكون الدجاج باردا وملفوفا بالبقدونس الأخضر الميت، ثم يلتفون حوله ويبصون ناحية عامل السنترال وهم يبتسمون ويقولون فى نفس واحد: باسم الله .. ومن الجائز أن يترك العامل مكانه وهو يبتسم ويقعد

مقرفصا أمامهم وهو خجل لكنه يزدرد اللقيمات بسرعة ويقوم ثم يعود مرة أخرى، وهو لم يكن يأكل، كان يحاور صغيرته "سارة" وهى تزحف فوق سجادة الصالة تكاد تخبط رأسها الجميل بطرف الكرسى أو الترابيزة البنية المستطيلة وهى تدحرج عروستها الحمراء أو تبكى طالبة بز أمها، وكان يرتب الكلمات التى سوف يقولها لهم حين فتح مصطفى الراديو الترانستور فجأة فسمع أغنية عن النيل ففكر بأن النيل ليس هو الفرات، وسمع عامل السنترال وهو يقول لمصطفى بأن الليلة أشد برودة من الليالى السابقة وعليهم أن يتدثروا من أجل الليالى اللاحقة وتأكد بأن مصطفى ينظر إليه وهو يبتسم .

٣ - المصرى

دائما ما تصل الطائرة إلى مطار بغداد الدولى فى الفجر، الشبورة تغطى كل الأشياء بينما اللمبات المتناثرة تتطلع كعيون غاضبة مستديرة، والمصرى: السباك والنجار والحلاق . يتأففون من البرد، يتحركون مثل كتل الضباب كأشباح نازلة من سلم الطائرة الذى يوضع فى عجلة ويتسربون ناحية الشبابيك حسب حروفهم الأبجدية، وهو المصرى أيضا ولكن المزارع، يدلف من الباب الزجاجى الأزرق الذى يحدث صريرا وهو يغلق فاصلا ساحة المطار عن صالة الوصول، يلتف بالجلباب الصوف والبالطو الصوف واللاسة الصوف وهو مرتبك، تهاجمه الصور والمرئيات كعفاريت أو نداهات فيرتبك: الغيطان الوسيعة المزروعة بالبرسيم والحنطه، والتى كانت مزروعة بالبرسيم والحنطه، الآلات الضخمة المجلوبة من المدن وكتل الطين حيث تقذف الأذرع الجهنمية الطويلة للآلات بلحم الأرض الأسود فى بطن سيارات النقل الضخمة وحيث



يشاور الرجال الجدد لسائقيها بالتحرك بسرعة .. بسرعة، وتهاجمه كذلك حدائق البرتقال وحدائق العنب الزاحفة إذ تعبأ فى سلال نظيفة وترحل، بينما تبص أشجار الجميز العجوز المتهالكة الآن إلى الركب وهى تدمع وتظل لابدة فى إستماتة فوق شاطىء ترعة "المنصورية" التى تجلب ماء النيل من القناطر وحيث تقرفص إمرأته كل صباح فوق نفس الشط وتغسل مؤخرتها بعد أن تتبرز مختبئة خلف خص الغاب الذى كانت تنام إلى جواره بقرته الوحيدة الضامرة والتى كانت بطنها منتفخة بسبب "العجل" النامى فى أحشائها والذى أخبره "سالم الجساس" أنه سوف ينزل بعد شهر لكنه إضطر إلى أن يبيعها مقابل التذكرة الخضراء التى يمسكها بيده الآن هى والجواز وبيده الأخرى يحاول إزاحة المرئيات والصور وهو مازال مرتبكا، ويتقدم المصرى المزارع ناحية رجل الشرطة بالمطار بعد أن يكون الطابور قد بدأ فى الزحف نحو "السير" الأسود العريض الذى يحمل الحقائب والأغراض ويسأله فى تجهم أين شهادة التطعيم الصفراء ؟! أين ؟! فين ؟! فهو لن يستطيع دخول البلاد بدونها فيرتبك المزارع ويعطيه كل الأوراق التى فى يده وهو غير فاهم فيضطر رجل الشرطة بالمطار إلى أن يشتم بصوت عال وهو متأفف بينما ينظر المصرى المزارع ناحية الطابور الذى بدأ فى الإختفاء وفى عينيه خوف وهلع .

" جريدة المساء "

جرح النورس

حين همس الأسطى - عبد المنعم - الميكانيكى فىأذنى فى غبشة الصبح: شايف ياباشمهندس ؟! كانت الأمواج الصغيرة تتكسر فوق خط الستائر الحديدية الضخمة والذى إنتهينا من دقه، وكانت أشعة الشمس تتسلل بحنو فوق شبه الجزيرة الصناعية التى نعمل فوقها، وضع أمامى فوق المكتب "نورسا" جميلا أبيض متوسط الحجم لكنه ميت، كان الدم متخثرا فوق جسده الصغير راسما بقعا بنية داكنة ومغمض العينين، قلت: ربما إرتطم بخط الستائر فى الليل أو فى الغبشة ولكن الريس الجمل والذى إسميه - العم جوركى - نظرا لشبهه الشديد بالكاتب "جوركى" أفهمنى بأن النوارس لاتطير فى الليل وأنه ليس الحالة الوحيدة فإن عديدا من جثث الطيور متناثرة بطول الشاطىء . ثم قرر فى ثقة بأن شيئا رهيبا - وغير متوقع - سوف يحدث .

" كانت المودة قد تمت بينى وبين السادات عندما تقابلنا لأول مرة فى القدس . والآن . ها آنذا، بعد رحلة بالطائرة إستغرقت ٨٩ دقيقة، فى الإسماعيلية، فى قصر السادات، كى ألتقى به للمرة الثانية . ماذا أقول له ؟ (مع الإعتذار للسيدة نجاة الصغيرة) . كيف يجب أن أدير الحديث ؟ . إن أغلب

الإحتمـالات، إن كلماتنـا الأولـى سـوف تلعـب دورا كبـيرا فـى تشكيل طبيعة علاقتنا، وسوف تؤثر حتى تقريبا على جو اللقـاء نفسه " .

كنت مستغرقا فى قراءة ترجمة سرية لكتـاب "وايزمـان" معركـة السلام عندمـا رنت كلمـات الريس جمـل فـى الكشـك الخشبى الصغـير فـأفزعتنى، فـالتطير سـوف يعـوق تحقيـق البرنامج الزمنى لتنفيذ العملية، كما أننى أعرف رجالى، أعرف مفاهيمهم الهشة عن الواقـع وإغراقهم فـى الجهل والخرافـة، رفعت عينـى عن الكتـاب وأخذت أتطلـع إلـى الجهـة المقابلـة: منطقـة البلاجـات، الشـبان المسـلمين، الفرنسـاوى، الملاحـة، الشعبى، ثم الفيروز الجديد بتذاكره المرتفعـة وأبهتـه الزائفـة، ومجموعـة الفيـلات المستفزة البيضـاء كحمامـات نائمـة فـوق الشـاطىء، هـا هـى إذن بحـيرة التمسـاح، فاتحـة فكهـا الصلـب لإلتهام الكيانات الصغيرة والتى تعمل فى دأب منذ شق أجدادهـم العراة بـالدم والبلهارسيا والسوط هذه القنـاة التـى تلد يوميـا مزيدا مـن الـدولارات والبؤس وكاسـات الويسـكى والـبراندى المراقة فى الماء وتحت الشماسـى فـى سرر النسـوة البالغـات الفتنـة السـاكنات فـى الفيـلات المواجهـة لنـا، سـد "جمعـه" المشحمجى باب المكتب بجسده الضخم، جسد ثور، ممسكا بيـده ورقة صغيرة، ما هذا يا جمعه ؟! هـز رأسـه الكبير والـذى بـه خلل ما فيما أعتقد: جواب دكتور .

- ليه ؟!

إنـه يستحى أن يخبرنى، فوقعت لـه الخطـاب آمـلا أن أستفسر من الطبيب عن ماهية هذه الحالة التى إنتابت رجـالى، فلم يكن جمعه وحده هو الذى طلب تحويله إلى طبيب الأمـراض الجلدية والتناسلية، فبعده مباشرة جاء "عبد المنعم" الميكـانيكى

والريس "جمل" وآخريين، رجال في أعمار مختلفة، تتشابهم نفس الأعراض، ويرفضون البوح بها إلا للطبيب .

عندما زرته بمكتبه بالمستشفى التابع له الشركة، كان يجلس وحيدا، مستغرقا في التفكير، قال لي بأنه فحص كل الرجال الذين أرسلتهم إليه - بعناية - وأجرى لهم التحاليل اللازمة . في البداية إعتقدت أنه مجرد إحتقان في "البروستاتا" وذلك نتيجة البرودة الشديدة وعملهم المستمر في الماء فجرا، لكنني بعد أن فحصت التحاليل جيدا لم أجد أن ذلك هو السبب، فنطفهم سليمة، كما أنهم لايشتكون من ضعف في الإنتصاب ولكن من عدم الإنتصاب إطلاقا، وذلك شيء غريب . أشعل سيجارة له وسيجارة لي وطلب مزيدا من القهوة وصمت برهة ثم قال: هل تكون حالة نفسية ؟! هل تعاملهم بقسوة ؟ معذرة أقصد هل يشعر الرجال بأن قهرا ما واقع عليهم ؟ من قبلك أو من الرؤساء معك؟!

بدأت الأضواء في المستشفى الجميل الصغير الواقع على الشاطيء،قرب المعدية المؤدية إلى قلب سيناء تخفت، وبدأت أشجار الكافور والجزورين المحيطة بالكنيسة والمسجد حول المستشفى تختفي من أمامي، وجندي الأمن المركزي الجالس فوق الدكة الرخامية أمام الكنيسة ينتصب واقفا هاما بفعل شيء ما، وطيور صغيرة سوداء وبيضاء تنطلق طائرة نحو الضفة الشرقية للقناة مختفية في قلب الظلمة والصحراء عندما قال لي الطبيب: لا تكتئب ياباشمهندس، إن ذلك لن يقلل من كفاءة الرجال في العمل وربما يفعل العكس، إطمئن، كنت مطمئنا، لكنني كنت أتساءل - بيني وبين نفسي - عن السبب، ففي الصباح وعندما وضع "الميكانيكي" النورس الميت أمامي فوق المكتب قال الريس جمل بأنه يفعل شيئا غريبا كي يحصل

على الخبز، فهو لايجد وقتا للحصول عليه، ولذلك جعل إبنه الصغير في الخامسة إبتدائي يقعد عن المدرسة لكي يقف في الطابور أمام الفرن، وبذلك لم يعد إبنه يذهب إلى المدرسة، كان يقول ذلك وشاربه الأسود الشبيه بشارب "جوركي" يهتز من الإنفعال وهو ميلل بالندى والشبورة في الخارج، وعيناه الصغيرتان السوداوان، كابيتين، ربما من الحزن أو الألم، وأنا سائر وحيد في الليل، المدينة الصغيرة، كقرية كبيرة تهاجمني كائنات غريبة، أصوات .. شعراء ضالون .. قصائد باترة لرفاق فارون ومضطهدون، وأغنيات غامضة ومبهمة تفر من حولي كقطط مسعورة، وإعلانات، إعلانات، إعلانات، تضيء بها شاشات آلاف أجهزة التلفزيون أمامي، في الظلمة، خالقة رغبة، قاتلة، ثم الظلمة الدامسة حيث أعمدة الكهرباء مطفأة، وحيث جثث النوارس العديدة فوق الشاطيء وحول الرصيف الذي نشيده، وفي قلبي، وأدلف إلى بيتي متوترا، باحثا عن إمرأتي، فأجدها، متجملة في إنتظاري، يحدث شيء غريب عندما أهم بالفعل، أتجمد وأبصق، ذلك الفيروس اللعين قد طالني أنا أيضا، أصدق الآن كلام الطبيب بأن السبب ليس عضويا، وعندما رأيته في الصباح، في مكتبه بالمستشفى، شرحت له الأمر، وجدته في إنتظاري، صرنا متأكدين بأن هناك شيئا غريبا يحدث، وأخذ يشرح لي في إسهاب بأنه هو ومجموعة من زملائه قد أخذوا يدرسون الموضوع ليلة أمس بمبنى النقابة، كان الأمر قد تضخم جدا حيث أن الأعراض نفسها قد ظهرت على عشرات الرجال في المدينة في أماكن عمل مختلفة، قال: يبدو أن فيروسا غريبا قد تسرب - بطريقة ما - إلى أجساد الرجال وأكمل: هناك حالة طواريء بوزارة الصحة، الوزير شخصيا إجتمع بأطباء القاهرة وطلبوا وفدا من

هنا للسفر إلى هناك، لدراسة الموضوع بصفة عاجلة، أنت تعرف أن الحالة ظهرت هنا أولا، فجأة، وهو يتحدث، سقط مخروط ضوء من النافذة خلفه فوق عدستي نظارته فبان غريبا، ولم أتمكن من سماعه أو متابعته وهو يشرح كيف أن الحالة قد عمت الآن لتصيب كل رجال مصر، حتى أنا شخصيا - هكذا قال - فأخذت أضحك، أضحك بطريقة عصبية وشاذة حتى أنه قد توقف تماما: مالك يا باشمهندس ؟! فيه حاجه ؟!

أصوات السفن الآن، في القناة، خلف المستشفى، تعوى بعنف، وأشعة الشمس قد تمكنت من إختراق نظارته وهو ينظر إلى مندهشا وأنا أخبره بأنني أعرف المكان الذى جاء منه الفيروس، نعم أعرفه، قلت لنفسي، إنه فندق "مينا هاوس" رفعت صوتي قليلا وأنا أكمل: أو ربما من "فالكون كريست" هه .. ما رأيك ؟!

- أنت تهذى بالتأكيد، تقصد ذلك المسلسل الأمريكى ؟! لا لا ياباشمهندس، أنت تعبت، أنصحك بأن تذهب إلى بيتك فورا وتأخذ حماما دافئا وتنام، أذهب إلى بيتي، أذهب إلى بيتي، أخذت أردد العبارة ببلاهة وكأنها معلقة برقبتي، تركته خلفي، وكذلك أشجار الكافور والجزورين ورائحة النفتالين والممرضات اللابسات البياض مخترقا الحى الهادىء المسمى نمرة (٦) قاصدا بيتي في منطقة الشيخ زايد، حيث مثلثات البيوت الحجارة، التى عمدها ملك النفط واللحى الطويلة، والشمس، هذه الشمس، قد إصفر لونها، وأنا أهذى، تقريبا، وألوك كلمات جملنا العجوز الطيب، العراقى المنفى، طلقة ثم الحدث، فأشعر باتزان نسبى، وأتخيل هؤلاء الأطباء الطيبون وهم عاكفون فوق التحاليل الغبية دون جدوى، كديدان صغيرة

تلتهم فى خبث ورقة قطن خضراء، الخضرة، أمامى مساحات كبيرة من الخضرة، حدائق خضراء، قلوب خضراء، ثم إنتبهت على أصوات خضراء، مجموعة من الأطفال تركض حول حيوانين ضعيفين، كلب ذكر، وكلبة أنثى، تجره خلفها، الأطفال يقذفونهم بالحجارة والكلمات الفاحشة، فى خبث وسرور واضحين تساءلت: كيف فعلها ذلك الذكر، أليس هو ...... ؟! ولكننى تذكرت بسرعة بأن الحيوانات ليس لها وطن .



صمت القلب

• قرفص "محمد العربى" أمام دكانه بحارة متفرعة من شارع الثلاثينى، قرب الموقف، كان ظهره للدكان ووجهه للشارع، الشمس الآن عمودية على كم السيارات المسرعة، تاكسى، ملاكى، تريلات كبيرة بمقطورة، نقل، نصف نقل، كارو، تهدر كموجه ثم يوقفها مزلقان السكة الحديد لكنها سرعان ما تفلت محتضنة بطن الشارع قاصدة الموقف، سرة المدينة، فكر "محمد العربى" فى طريقة للتخلص من ذبابة سمجة كانت تضايقه، كما ضايقه أيضا صوت "بوشكاش" صبى الميكانيكى المجاور: بكره هيتنقل الموقف، بكره، العسكرى قال كده .. كل واحد يلم عزاله .. بكره .

عيناه عسليتان وضيقتان، وجهه صغير وأسود ومحبب ومطموسة معالمه من شحم السيارات وضربات معلمه،بان لعينى "محمد العربى" كشيطان صغير: إمشى يابن الـ ....
لكن ذلك لم يمنع الذبابة من مضايقته ولا من تكور الكلمات التى نطق بها الولد كبالونتين تكبران ثم تفرقعان، جانب أذنيه، تكبران ثم تفرقعان، تكبران ثم تفرقعان، بعد أن عادوا من الهجرة ولأنه مصاب حرب إستطاع أن يقتنص هذا المتر فى متر ويمارس صناعته المحببة، عقود الخرز الصغيرة التى

يسهر عليها في الليل ويعلقها في الصباح . وحين تفرغ "الميكروباصات" الصغيرة الآتية من القرى المجاورة حمولتها تأتيه النساء، فلاحات خشنات، تلميذات صغيرات بمدارس المدينة، يعرفنه، صارت - بطول المدة - بينه وبينهن مودة، قد تخطيء إحداهن وتناديه بعم محمد الأعرج لكنه يغفر لها، أولا لأنه فقد ساقه في الحرب وليس في مشاجرة رخيصة، وثانيا لأنها زبونته، يفحص عقود الخرز الصغيرة بينما يبربش هو بعينيه المريضتين ثم يقبض الثمن، وفي المساء يركبن "الميكروباصات" ويعدن إلى قراهن، لابسات عقود الخرز الحمراء والصفراء والبنفسجية .

* أدار "محمد العربي" ظهره للشارع، ووجهه للدكان، كانت الشمس قد غابت الآن، غرقت في الصمت خلف الإستاد والغابة، وكان هو، قد تخلص من طنين الذبابة المزعج، وعندما هم الولد "بوشكاش" بمساعدة عم "محمد العربي" في لم أشيائه قبل الرحيل، وجده مقعي، وجهه للدكان، وظهره للشارع، وحين وضع أذنه الصغيرة على قلبه كان صامتا .

" جريدة القناة "

من النشيد الأخير للجد عبدالدايم أفندى

بقعتان صفروان باهتتان تنفلتان من الغيوم الجاثمة فوق الصدر - فارشتان دائرتين من الضوء المرتعش فى حوش الدار الخارجى، قعد الجد - عبد الدايم أفندى - مدرس الإلزامى السابق فوق الكرسى المصنوع من الجريد والقش فى مركز الدائرة الكبرى وأخذ يناجى ذاته: هاهى الأيام تفر مثل غزال شارد وأنت يا عبد الدايم تركض نحو الكهولة بصبر وتحمل جمل عجوز، وها هى أيضا البلد بنت المركوب القديم تبصبص لى بذنبها النجس وتتحدانى . كان حوش الدار مفتوحا على الخارج وبدون أسوار، وكان يستطيع الجالس فى الحوش أن يرى البيوتات الجديدة والتى إنتصبت فى تحد كاسحة أشجار الجميز العجوز والشاب، والتوت الصغير والكبير، والنبق والعصافير التى كانت تزقزق والحمائم التى كانت تخن بين الأفرع والبوم الذى كان ينعق فى الليل والغربان التى كانت تنطلق فى النهار كسهام سوداء غبية . كانت البيوتات من الأسمنت المسلح، الطوب الأحمر والأسمنت، كانت قد إنتصرت تماما - وفى معركة خاطفة - على البيوت الطينية الواطئة المختبئة تحت أكوام حطب القطن وحطب الذرة وحطب البرسيم وصوامع الغلال المصنوعة بعناية من الطين والملساء النائمة

فى سكون النسوة العجائز المتشحات بالأسود والأسود، وظل ـ عبد الدايم ـ يناجى ذاته: مذ عرف الأولاد طريق السفر والترحال، مذ جاء الغرباء بسحناتهم الشبيهة بسحن التجار وقعدوا بمقهى ـ أحمد العجل ـ أو عند الدكاكين وكتبوا العقود، عرفوا طريق البواخر والطائرات والدنانير والريالات والدولارات وكتابة الرسائل المستفسرة عن الزوجة والولد والبهيمة والأرض، الأرض التى بدأت تتقلص عند العودة وتنتصب مكانها فى تحد، هذه البيوتات، هذه الخوازيق المشرعة ناحية سماء خالية من "أبى قردان" الأبيض الجميل الذى كان يأكل دود الأرض ويهز رقبته الطويلة الرفيعة وهو ينقر بطن الطين، ويرقص، سماء ملوثة الآن بالهليوكبتر التى تطن وتطن فوق رأسه طوال النهار، نهارهم الأسود الذى يفتح عينيه باصا إلى دود القطن الزاحف فوق ظهر الورقة الخضراء الزاهية، ثم اللوزة المغمضة العين الحزينة والتى لن تتفتح أبداء، ولن ترى الضوء أبدا ولن يمسكوا ـ أولاد الكلب ـ بالورد الأبيض الشاهق طويل التيلة الممتاز والذى كان يصدر إلى مصانع ـ لانكشير ـ بإنجلترا متحولا إلى قمصان غالية الثمن خلف الزجاج الملون والمبهر للمحلات المكدسة فى شوارع أوروبا وأمريكا الغنية والفتية دائما والملتهمة ـ مثل الدودة ـ أجسادهم السمراء النحيلة التى كفت عن طلوع أشجار النخيل وأمسكت ـ فى إستماتة غبية ـ بالدنانير الورقية وأجهزة التسجيل الضخمة التى تهذى بأغنيات رديئة وفجة، هذه البيوتات المنتصبة كعضو الحمار الأسود الخالى من الجمال والمشرئب ناحية البطون، بطون نسائهم المنتظرات فى شبق خبر أو رسالة أو جثة أحدهم المسممة بالبولينا والفشل الكلوى، هذه البيوتات التى تأوى تحت عجيزتها الشبيهة

بمؤخرة قرد محلات عصير القصب وعصير البرتقال وعصير التفاح معبأة فى علب من الصفيح الملون والمزركش .

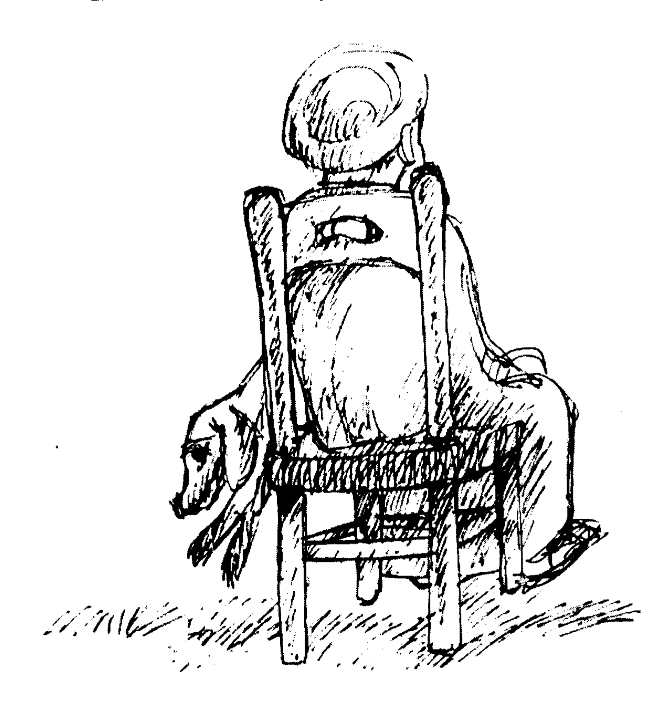
عندئذ سمع الجد - عبد الدايم - نباح الكلب فقام من فوق الكرسى المصنوع من الجريد والقش ونظر تجاه بقعة الشمس الثانية، دائرة الشمس الصفراء المرتعشة، ثم أنه قعد وهو يبربش بعينيه المربدتين ويعدل من وضع الطاقية القطن البيضاء فوق رأسه، ونظر تجاه الكلب: كان ممددا مادا رجليه الأماميتين إلى أمام، واضعا ذيله المقصوص تحت بطنه، ينظر ناحية الرجل بعينين بنيتين مبللتين ثم يهز رأسه هزات سريعة طاردا شيئا ما، تنبه الجد - عبد الدايم - بأن الكلب كان يعوى عواء متقطعا، فإقشعر جسده النحيل - للحظة - فوق الكرسى ثم إنحنى ناحيته، وأخذ الجد - عبد الدايم - يناجى كلبه:

لم يتبق فى هذه الدار المهجورة - أيها الثعلب العجوز -
سوى أنا وأنت، لننظر ونرى، لماذا تنبح هكذا ؟!
هه ؟! ماذا حدث وماذا سوف يحدث ؟!

لم يفهم الكلب بالطبع ما قاله الرجل العجوز لكنه كان قد إنتهى من عوائه المتقطع الآن وإنكمش ساحبا رجليه، ثم وقف، وببطء توجه ناحية الجد - عبد الدايم - الذى كان ما يزال يبرطم، وفجأة قفز الكلب فوق فخذى الجد فأفسح له مكانا، وإحتضنه، وأحس بإرتعاشة جسد الكلب الذى أخرج لسانه وأخذ يلحس يديه، ببطء وفى حميميه وهو يهز ذيله المقطوع هزات سريعة، ثم أخذ فى لحس ذراعيه ورقبته بطريقة غريبة أفزعت الجد الذى نهره: كف أيها الثعلب العجوز ؟ ما بك ؟! حتى أنه مد ذراعه الهزيلة وأخرج من "المشنة" التى إلى جانبه رغيفين من الخبز الأبيض المبلل بالماء، وقطعة جبن بيضاء كبيرة، حينئذ همد الكلب ونام فى إستكانة فوق فخذى الجد -

عبد الدايم أفندى ـ وأخذا يأكلان فى صمت، ثم أنها بدأت تمطر، رذاذا خفيفا فى البداية، ففكر الجد فى الدخول: هيا بنا إلى الداخل ياصديقى .

لكنه لم يقم، بدأ المطر يشتد، قطرات ثقيلة من الماء تخبط فوق الأرض، لكنه ظل جالسا هو والكلب وهو يردد بأنهما سوف يدخلان، لكنهما لم يدخلا، ظلا هكذا جالسين .



أخطاء صغيرة

لما دخلت الغرفة وجدتها نظيفة جدا ومرتبة، وثمة أزهار صناعية فى آنية بجوار السرير الذى يرقد عليه "الحاج". كان واضحا أنه نائم بجسده الضئيل المتآكل الأسمر أو أنه لم يستيقظ وخالتى إلى جواره على طرف السرير وهى تلبس (جيب) أسود وبلوزة زرقاء غامقة، وكانت رجلاها متدليتين من فوق السرير ولا تصلان إلى بركيه الغرفة النظيف، ولأننى متأكد بأن خالتى "عنايات هانم" ليست بالقصيرة فقد إندهشت لذلك ثم إننى إكتشفت بأن السرير مرتفع كثيرا عن الأرض شأن الأسرة فى المستشفيات، وهكذا كان حذاؤها فى مواجهتى وبان جزء كبير من فخذيها لأن "الجيب" كان مشدودا لأعلى وخفت أن أبص إلى ذلك فتضبطنى زيزى الجالسة فى الجهة الثانية فوق كرسى من الجلد البنى تقرأ كتابا باللغة الفرنسية وتجاهلتنى عندما قلت صباح الخير يا جماعة هو عم الحج نايم؟! فى حين أن خالتى إستدارت إلى وقالت صباح النور ياحبيبى أقعد فقعدت على السرير الآخر وكان منخفضا عن السرير الذى يرقد عليه الحاج ثم أننى قلت لخالتى كيف الحال الآن فرفعت زيزى عينيها عن الكتاب ونظرت إلى ولم تقل شيئا بينما قالت خالتى بأن الحال ليس على ما يرام وبأننا (هى

وزيزى) لم تنم ليلة أمس وكان عمك الحاج قد تقيأ دما عند منتصف الليل فصرخت أنا عندما رأيت الدم فى المنديل وعندما جاء الدكتور محسن لم يطمئننا . أخذ عينة من البصاق ولم يطمئننا . وفجأة إرتج السرير بشدة ووجدت الحاج يكح كحه شديدة ويتقلص جسده ويكتشف وجودى بعد إفاقته المباغتة وينظر إلى وهو متشنج فتعطيه خالتى المنديل الكلنكس فيمسكه بيدين مرتعشتين ويغطى وجهه ويبصق فى دفعات متقطعة ثم سكن جسده تماما وأخذت خالتى المنديل ونظرت فيه وتنهدت ثم ألقته فى سلة مهملات بلاستيك زرقاء تحت السرير إلا أن زيزى قد وضعت الكتاب فوق الكرسى وقامت وأمسكت بالمنديل الذى بصق فيه (باباها الحاج) وقالت بأنها ذاهبة إلى (التواليت) قالت ذلك وهى تنظر إلى وكأنها تشخط ولم أفهم معنى لذلك حتى أن خالتى عنايات هانم نظرت شذرا إليها وهى تلف الحاج بالبطانية الصوف ذات الوبر والمرسوم عليها فهد كبير وتمسح بكفها فوق شعره المجعد القليل وهى تقول له نام.. إسترح ياحاج . ثم أن كحته تلك قد ذكرتنى بأيام المنصورة وكان أبى يأخذنى بالقطار وأنا فرح، كان يرتدى جلبابه الصوف الجديد بينما أرتدى أنا القميص والبنطلون الذى أذهب بهما إلى المدرسة وكنت فرحا وعند وصولنا شارع سندوب قرب سواقى مشعل كان أبى يضحك ويقول تعال نزور خالتك .. وأعرف أنه سوف يمر على الحاج ويأخذه من المصنع الذى يصنع الصابون والذى بنى فوق العمارة الجديدة التى بناها الحاج ثم نصعد إلى الشقة بالدور الثانى فيدخل أبى وعم الحج مباشرة إلى الشرفة الواسعة والتى تطل على المصنع بينما أنكمش أنا بالصالة وتأتى الخادمة وتقول لى بأن ستها زيزى تذاكر بغرفتها فأشتاق لرؤية جسدها الأسمر

الممتلىء وهى ترتدى الفستان الذى يكشف عن ساقيها إلا أننى سرعان ما أستمع إلى الحاج وأبى وهما يكحان معا ويضحكان فى الشرفة بينما سحب الدخان الأبيض ذو الرائحة تتصاعد من الشرفة ويدخل جزء منها إلى الشقة ثم أن خالتى عنايات تأتى بسرعة من المطبخ بيضاء وطويلة وهى تضع فوطة منقوشة بالورد فوق صدرها وتقول بصوت عال .. أهلا أهلا .. لكننى أجلس فى الصالة ويكون "عبد الحليم حافظ" يغنى فى التلفزيون، يشاور بيديه ويغنى بحماس وأنا منجذب فتأتى الخادمة وتقول لى بأن "ستها" زيزى تريدنى بغرفتها والتلفزيون كبير وموضوع بموبيليا فخمة من الخشب المشغول بالأرابيسك والصالة شبه مظلمة لكن أصوات أبى وعم الحاج تأتى من الشرفة عالية وقوية ثم يدخلان ولكن عند دخولى الغرفة تهجم رائحتها على وتنعش دمى وأحس بأنها ليست بنتا لكنها جسد كونى هائل يلفت عظام قلبى من الداخل وأنا ألهث وأنظر مباشرة داخل مرايا عيونها التى تكون مثل بحر من عسل وأهمس بازيك يا زيزى فتبتسم عن أسنان شديدة البياض وتفسح لى مكانا فأجلس وأنصهر مثل قطعة صغيرة من الرصاص فى أتون ملتهب لكنها بعيدة عنى جدا ولا أطالها أبدا ويكون صوت عبد الحليم عاليا فى الصالة يشاور ويغنى للسد العالى ولأن الإضاءة خافتة تكون الصورة واضحة بالتلفزيون وعلى ضوء الأغنية تجوس عيناى الأشياء الثمينة، النجفة المبهرة المعلقة والمطفأة، الصور التى على الجدران فجة وبدائية لكنها مطلية بماء الذهب بما فيها صورة الجد الذى كان يعمل حلاقا بقريته القريبة من المنصورة والذى ورث عنه الحاج مهنته قبل أن يصير صاحب المصانع الشهير، كان - الجد - يرتدى جلبابا بلديا وطاقية وكانت إحدى عينيه مغمضة

لسبب لاأعرفه وكان إطار الصورة مطليا بماء الذهب أيضا وكذلك صورة الكلب الذى يكاد يقفز إلى الصالة، ثم أن خالتى وضعت أمامى الصينية وأشعلت الضوء وكان الحاج وأبى يهمسان بعد أن أغلق الحاج التلفزيون بقرف وهو يبرطم فقلت وأنا فى حيرة لماذا يغضب الحاج هكذا ؟! فالأشياء الصغيرة حينما تتراكم لابد أن يحدث الشىء الكبير وتذكرت الماء وهو يغلى والبخار وهويتصاعد "وغازى بك" مديرى فى العمل هو نفسه صاحب الشركة قبل التأميم وصديقى أحمد زاهر الذى علمنى القراءة محبوس فى مكان ما وأيقنت بأن هناك كذبة كبيرة تحدث وبأننى جبان ولايهون على جسدى وأننى مثل فراشة تحوم حول ضوء جسد زيزى التى تدرس الآن بالجامعة الأمريكية بميدان التحرير بالقاهرة ولم تعد تركب الحنطور إلى مدرستها فى "توريل" وأنا أنظر إلى فخذيها الممتلئين البرونزيين وهى تركب ولا تقول لى (باى .. باى) عندما تصر خالتى على أن أبيت عندهم بالمنصورة وأنا تخليت عن صديقى أحمد والعسكر يأخذونه بينما أنظر من خلف الشيش فى الدور الثانى والسيارة الجيب تختفى فى غبشة الفجر والضابط يضربه بكعب بندقية قصيرة ويدفعه إلى العربة وأمى تنهرنى بأن أغلق النافذة حتى لاأصاب بالبرد إلا أن الصقيع قد تخلل عظامى وإنتهى الأمر وظللت أرتجف وأنا أسمع الحاج يشتم ويهدد والصالة مضاءة ويقول (أولاد الكلب الجرابيع .. هيخربوا البلد) وخالتى تهدئه وتقول روق بالك يا حاج فيزعق شاتما وأبى كذلك أخذ يربت على كتفه ويشعل له سيجارة بينما زيزى قد ركضت إلى المطبخ لتصنع الليمون (لباباها) الذى على صراخه وهو يتكلم بالتليفون مع شخص ما ويقول لذلك الشخص الذى بدى أنه مهم جدا كيف يسلم المصنع للجنة من

أعضاء الإتحاد الإشتراكى وهم جهلة ولايفهمون، ثم أنه قد وضع سماعة التليفون بعنف فأحدثت صوتا ثم قال (كلاب ولاد كلاب) وكانت زيزى قد أحضرت كوب الليمون فأخذه بيد مرتعشة، فجأة إنفتح باب الغرفة ودخلت رائحة غريبة تبعها الدكتور محسن وممرضتان فاعتدلت خالتى بسرعة ووقفت ووقفت زيزى تاركة الكتاب يسقط من يدها وأنا وقفت وكانت الرائحة تشتد وتشتد وتخنقنى فهممت بالخروج ولكن الدكتور محسن إستوقفنى قائلا بأنهم (خالتى وزيزى) سوف يحتاجان إلى لأنها حالة متأخرة من السرطان وربما يموت الرجل فقلت هل هذه هى رائحة الموت ؟! لأن رائحة شبيهة كانت قد هاجمتنى عندما تركت خفير فيلا خالتى بالهرم بعد أن أخبرنى بأنهم قد ذهبوا للمستشفى وركبت الاتوبيس من الهرم الى ميدان التحرير ثم المعادى حيث كانت الزحمة ووجوه الناس البليدة فى الشارع وفي الاتوبيس وتلك الرائحة فعرفت الان أنه ربما يكون السرطان قد بدأ يأكل الجسد الكبير وأنه يخور الآن مثل ثور مذبوح والدم يقلل ويقلل وعبد الحليم حافظ أيضا قد مات ولبست زيزى الأسود شهرا كاملا وأدهشنى ذلك لأن أبيها يكرهه جدا ولم تكن جميلة بالأسود لأنها خمرية ولكن وجهها مصفر الآن وهى تنحنى بجانب وجه ماماتها خالتى عنايات هانم والدكتور محسن يهمس لها بأشياء وتكشر خالتى ويبين فى عينيها الألم وهى تنظر ناحية زوجها الحاج الذى بدأ يتململ وإحدى الممرضات تعطيه الإبرة حتى أنه فتح عينيه عن آخرهما ورآنى وأنا أنظر إليه ثم أقفلهما ثانية وركن بكوعيه فوق الوسادة وكاد يجلس لكنه كح كحة شديدة فسمعت الممرضة الثانية تهمس بأنها إفاقة الموت ثم أننى وجدت نفسى أتسلل من الغرفة فى هدوء كأننى أخرج من جسد زيزى

أو هى التى تخرج من جسدى فأجد النيل فى مواجهتى وتهب نسمة هواء باردة من جهة النيل فأستنشقها بتلذذ وعمق وأنا أفكر فى أى طريق سأسير .



الفأس

١ـ دخل 'حسن أبو علي' معمل اللبن، كان الوقت مساء، وكانت أشعة الشمس تختفي خلف ماكينة الطحين المقابلة للمعمل والتي كان صوتها يهدر مبددا سكون ليل يرغب بشدة في إقتحام المكان، الفلاحون القلائل يجرون بهائمهم خلف ظهورهم بينما يخبطون بسيقانهم فوق بطون الحمير التي يركبونها خبطات سريعة وعصبية، وأمام ماكينة الطحين وقفت إمرأة وحيدة تحاول جاهدة رفع حملها وهي معفرة بالدقيق الأبيض بينما طفلها الذي يشمر جلبابه كاشفا عن أجهزته الدقيقة يمد يده الصغيرة خلسة في الوعاء النحاسي الأبيض الكبير أمام الخالة 'عساكر' والترمس يلمع في حبات صفراء صغيرة كأنها قطع من الضوء في عيني الخالة التي إنشغلت عن الولد بكليتها وهي ترنو إلى 'حسن أبو علي' وهو يقتحم معمل اللبن حاملا فأسه في غضب ظاهر .

٢ـ إعتدلت 'زهرة' إمرأة 'حسن أبو علي' في جلستها تحت ضرع جاموستهم النحيلة الوحيدة حين كانت ظلمة أول الليل قد تسللت وإقتحمت داخله من باب الزريبة في إحكام دقيق، كانت الفرخات توقوق زاعقة بعد حبسها في الحوش بينما مرق ذكر البط خارجا من الزريبة وهو 'يوحوح' في إهتزاز كأنه يخشى

كائنات الليل القادمة، أراحت مؤخرتها الضخمة فوق قالب الطوب النيىء وأخذت فى تحنين البزاز المنتصبة ثم أخذت تستمتع بصوت إرتطام اللبن الدافىء فى قلب "الشاليه" التى تحتضنها بين ساقيها وهى تبسمل وتستعيذ بالموروث والمقدس أن يجعل هذا الضرع ممتلئا دائما وأبدا حتى تتمكن من وضع القرش فوق القرش، فمحمود أبو عوض ينتظرها على أحر من الجمر، ما أن تتسلل إلى المعمل حتى يخطف منها وعاء اللبن ويزنه، بعد أن يطمئن إلى وفرة الكمية يفتح فمه بأسنانه الصفراء: عال .. عال يا زهرة .. ويدس يده السمينة فى صدره ويخرج المحفظة الجلدية المنتفخة، عيناه المستديرتان تدوران مثل بليتين قبل أن ينتزع منهما الورقة أم خمسين قرشا ويدسها في يد المرأة، والمرأة، زهرة، تمتص الضرع فى حنو، إلى أن تزفر الجاموسة، نفخت بمنخاريها فيفزع الحمار - الذى كان متعبا وعرقانا - ويأخذ فى النهيق، فتقوم، وهى تحتضن وعاء اللبن وتهم بالخروج من باب الزريبة إلا أنها قد لمحته، كان قد خطا إلى الداخل وهى منشغلة بالحليب، كان قد إتجه مباشرة إلى الركن الذى به المحراث والفأس والنورج القديم، وفى الظلمة إستطاع أن يمسك بالفأس ويحملها ويخرج، فلقد كان الوقت مساء .

٣- فكر "حسن أبو على" فى الأمر كثيرا، صار متيقنا الآن بأن إمرأته تبيع اللبن إلى "محمود أبو عوض" وأحس بالخنجر ينغرس فى قلبه ببطء، فأخذ يضرب بطن حماره بساقيه الناشفين فى عصبية وهو يشتم: ياوليه قلت لك ألف مرة إن شوية اللبن دول هم إللى فيهم الرمق .. بتبيعيهم ليه يا بت المركوب . كان يقترب - فى عودته المبكرة اليوم من الغيط -

من ماكينة الطحين، صوتها يهدر ويحاول وأد الفكرة التى نبتت فى ذهنه توا: سالخير يا خالة عساكر . لم تعره المرأة إنتباها حيث كانت منشغلة فى صب الماء فى طشت ترمسها، وأحس، مرة أخرى - بأن البيوت التى تلى ماكينة الطحين والمبنية بالأسمنت المسلح حيث تسرسع أصوات راديوهاتها وآلاتها الغريبة المعادية بالشرفات المطلة على الشارع، هذه البيوت، والتى بدأت تحتل المساحات الخضراء التى كانت مزروعة، أحس بأنها تتحداه وعاوده حنينه إلى رائحة البرسيم والجهنميات القديمة وحدائق البرتقال واليوسفى التى كانت، فتزداد ضرباته فوق بطن الحمار، الذى لايفهم شيئا سوى أن صاحبه يستعجل الإياب فيجاهد مسرعا وهو يعرج، وحين يشم رائحة الدار يكون العرق الغزير قد غطى جسده بالكامل فيزفر فى راحة، وينهق فى عمق، ويتركه 'حسن أبو على' مارقا إلى الزريبة، حين يلمح إمرأته - بنت المركوب القديم - تقرفص بمؤخرتها الضخمة وهى تحلب الجاموسة، ويتوجه إلى ركنه، ويتمهل هنيهة، ثم يمسك بالفأس، وينطلق .

٤- رائحة اللبن التى يعشقها 'محمود أبو عوض' تملأ خياشيمه، منذ غبشة الفجر والنسوة يتزاحمن وهن يحملن أوعيتهن، وبعد المساومة والأخذ والرد يأخذن نقودهن ويتركن اللبن الذى يكون حارا ودافئا يملأ خياشيمه، فيسرع بعملية الفرز الأولى، لبن الجاموس على جانب، ولبن البقر، وينغمس فى الطقس اليومى وهو نشوان بعد أن كثر زبائنه، فى البداية كن يخفن أزواجهن، وأمام إصراره ودأبه بدأت زهرة المسيرة، يصنع الجبن والقشدة ويوردهما إلى المركز والمحافظة، يبنى البيت بالمسلح ويشترى المسجل والتلفزيون والثلاجة ويفكر فى شراء ماكينة الطحين من مالكها القديم الذى كاد أن يفلس

بعد رحيل العمال وتغير الأحوال،تغيرت الأحوال وجاء زمنه الآن، وهو ينصت إلى صوت الماكينة يتكتك مثل ضربات قلبه، فكر بأنه سوف يقبض على جسد هذه القرية بعنف ولن يتركه أبدا، وأخذ كذلك ينصت إلى الضفادع التى تنقنق خلف المعمل ونداءات الرجال العائدون من الغيطان، وكان الباب مفتوحا فإستطاع أن يلمح نجمه المفضل يلمع وسط السحب المجتمعة، ومن نفس الباب - من دقائق معدودة - خرج الجسد الوفير لزهرة وهى تشده - الجسد - فى جلبابها الأسود بسرته الدافئة كبرتقالة، حين ينفرد بها تدور عيناه البليتان وتبتل ذقنه السوداء الطويلة لكنها تنتهره: ياراجل عيب .. عيب على ذقنك..

وتخرج مسرعة، وهى لاتمنح ولاتمنع، فيتصبب عرقا لكنه يدرك تماما بأنه سوف يمتلكها لابد وأنها جزء من الكل الذى سوف يقبض عليه فيمسح عرقه بجلبابه الأبيض الذى لونه اللبن المتخثر ويهدأ لكن الظلمة تهاجمه والأصوات الداخلة من الباب المفتوح والمرأة "عساكر" جالسة أمام الماكينة تصب الماء فى طشت الترمس ثم، ما هذا ؟! "حسن أبو على" يدخل المعمل مهرولا، حاملا فأسه فى غضب ظاهر .

"جريدة القناة"

ميتافيزيقا السيدة المجهولة

المرأة التى دخلت فى الأربعين تمسك بيدها البيضاء ذات الأصابع الدسمة يد الكنكة الصفراء من النحاس وتضعها فوق عين البوتوجاز الصغيرة ثم تقلب البن فى بلاهة وهى تفكر فيما فعلته، ولكن ماذا فعلت هى بالضبط ؟! لقد حطمت قلب حساس، هى لم تحطمه فى الواقع لكنها إعتقدت ذلك، فينتابها بعض الضيق سرعان ما سوف تتخلص منه فيما تمسح الفنجان الصغير المبرقش بوردات حمراء على شكل قلوب محطمة، تمسح الفنجان بقطعة قماش بيضاء نظيفة خصصتها لهذا الغرض ثم بآليتها المرتبكة تصب الكنكة فى الفنجان، وتندم إذ جاء البن محروقا ورائحته ليست نفاذة كما تهواها، فتسلط عينيها فوق الأشياء المحيطة ببلاهة أصيلة فى إتساع حدقة العين حين تبدو لمن يراها كأن إمرأة عمياء ترى كائنات خرافية، ثم أن هذه الكائنات تطلع فعلا من قلب قيشانى المطبخ وتتشكل بسرعة غير عادية متحولة إلى قلوب محطمة، قلب كبير يخترقه سهم أحمر مشتعل فيتفتت قطعا صغيرة أمامها فتصرخ فى إستجداء: ياربى .. إنها خاوية الآن وكأن أحدا قد دلق فى عنف كمية هائلة من أمعاء حيوانات ميتة فى صندوق القمامة الفارغ، إنه لايمتلىء أبدا، فجسدها برغم كونه جسد إمرأة مكتملة إلا أن ذلك المكان المقوس الفارغ فى داخلها دائما ما يلح فى طلب المزيد، إنها تحاول أن تملأه باستمرار بأغنيات عبد الحليم حافظ الأولى، تنتابها راحة مؤقتة

إذا تفعل ذلك لكن سرعان ما تهجم كائناتها الخرافية وهى تضع الفنجان فى طبقه ثم تضعه فوق صينية بيضاء مستديرة وصغيرة من النحاس، بعد قليل سوف تريح جسدها فوق كرسيها المفضل خلف النافذة حيث أشعة الشمس تتجمع فى دوائر برتقالية متناثرة فوق أرضية الصالة المغطاة بموكيت بنى غامق .

"ها أنت الآن تتقوقعين فى حضن الميتافيزيقا
مثل فراشة ميتة، ولن تفيدك أسلاك الهاتف
التى تهتز بأصوات الغنج عديمة الفائدة "

هى إذن تبدأ فى إرتشاف القهوة فى تعنت فاردة - أخبار الأدب - على الصفحة التى ينعتها فيها الناقد الكبير بأنها السيدة المجهولة، لم يقل كاتبة مجهولة حتى ؟ فكرت بذلك بينما حبات البن الطرية تلسع لسانها، تكومها بفمها مثل بصقة ثم تبتلعها، وها هى تقف فجأة بعد أن كورت الجريدة بيديها فى عصبية وأغلقت الشيش، هى صارت تحب الظلام وتستمع به، تحس إذ تخترق أشعة الشمس خلايا جلدها الخارجية بأن العالم سوف يتسرب إلى داخلها ويفضح دوافعها الدفينة، هذه الأحاسيس التى إنبثقت بغتة وأخذت تلح على أعضائها الحميمة بينما هى تدخل فى الأربعين، وهو - هذا النزق عسلى العينين - يميل بملء كيانه المتوهج ويوشوش فى إذنيها .

"حين وضعت يدى المرتبكة فوق قبضة يدك العرقانة
ذات مساء، ها هو جسدك يرتعش، هل تتمكنين يوما
من الإنفلات من محارتك بحرية ؟! "

فى ظلمة الصالة كانت تقف وحيدة وغير قادرة على التوحد، وكانت ضلفة الشيش التى أغلقته لتوها تتأرجح فى خفوت محدثه صوتا آليا متوجعا، وكان صوت قطة يأتى من مكان ما يفح فى هستيريا والراديو - الذى نسيت إغلاقه -



يزعق بأغنية حديثة كريهة فوجدت نفسها كأنها فى حلم، إقترب هو منها وهمس لها شيئا فإنتعشت ودغدغ همسة جسدها من الداخل ورأت صورة زوجها وإبنها - الذى كادت تأكله النيران - يذهبان بعيدا، يسوق الزوج سيارتهم البيضاء الصغيرة بسرعة جنونية ثم يدخلان فى كتلة من الضباب، يختفيان، وهى تنادى بينما صوتها محبوس فى داخلها ثم يتداح كل شيء ويتوارى .

" وها هو زادك القديم من أغنيات عبد الحليم
حافظ ينفذ دون إثراء يذكر للروح ".

قامت فى تثاقل وكأنها تجرجر جسدها وذهبت إلى غرفة النوم وأطفأت الراديو الذى كان يزعق، كان فنجان القهوة الأبيض الصغير الفارغ الآن ينظر إليها وهى تقف كأن عين إنسانية مفتوحة ترنو إليها، وكانت هى ترتجف وهى تفكر فى حلمها المفاجيء فهمت "إن الله يعاقبنى .. إن ذلك عقاب من الله" . وأحست برغبة فى أن تفتح النافذة أو تضيء الأنوار فيغمر الشقة الضوء الباهر، لكنها ألفت نفسها تجلس مرة أخرى فوق كرسيها خلف النافذة كأن قوة ما قد أجلستها، ثم أن الصوت - صوت عسلي العينين - قد إخترقها مرة أخيرة بوضوح كالمرات السابقة .

" لما إكتشفت خواء روحك أيقنت بأننا
(المثقفين البلهاء) نسقط فوق الكائنات
الأنثوية الخاوية ما نتمنا أن تكونه "

فعدلت من جلستها قليلا، حيث جذبت كرسيا خشبيا صغيرا كان إلى جوارها ووضعت ساقيها فوقه، وتمددت، حتى أنها غابت فى إغفاءة طويلة .

" جريدة القناة "

هل هناك .. أمل ؟!

• فى وجل تقدمت المرأة التى تلبس نظارة طبية مقعرة إلى المحل، وجل خفيف غير ظاهر يشبه ضباب خفيف فى صباح خريفى . وهى إذ تتقدم فى إتجاه المحل، خطوة، تتراجع خطوتان: كان يجلس فى ذلك المحل صامتا، كتمثال جنوبى، وراء مكتبه الذى يدفن فى أرففه حسابات الزبائن ومجلات فصول وإبداع وأدب ونقد، كان يجلس كتمثال صامت. 'صديقى محمد عيسى' .

كالطائر المذبوح الوجل تحط السابعة مساء فوق المحل، تتقدم الساعة السابعة بدون نظارة مقعرة مقتحمة - هذه المرة - الميدان والجه الداخل بينما أسحب أنا الكرسى المستدير الصغير الذى يوجع خشبه مقعدتى وأقعد قبالته - خلف المكتب :مساء الخير ..مرحبا

: إيه الأخبار ؟ .. ..

ستبدأ هذه الساعة فى اللحظه بالدوران ومحاولة الطيران بأجنحتها السوداء المثخنة بالجراح ماسحة شارع المستشفى من عند 'صيدلية يوسف' حتى 'قفط' ومن عند 'بين السرايات' حتى بيت 'مدحت منير'، وأجلس قبالته منتظرا حتى تصل التاسعة والنصف أو العاشرة . منتظرا، هكذا، أجلس

منتظرا. هكذا، حتى ألمح المرأة التى تتقدم فى وجل داخلة فأقف وأهتف: أهلا .. تفضلى . بينما صاحبى لايقول لها أهلا ولا يقول لها: تفضلى .

* تدخل المرأة فتباغتنى بجسدها الوافر والتى كانت قد خبأته خلف ملاءة سوداء واسعة تشبه جناح طائر، جناحان أسودان هائلان يبين منهما جسد أبيض قاطع مثل حسام، جسد كامل عار تماما وأبيض ومشتهى لإمرأة - رغم قبح وجهها البشع - مكتملة الأنوثة والطغيان، وهى إذ تبدأ فى إدخال حسامها القاطع أصيح به أن يتكلم .. قل شيئا .. تكلم يا رجل . لكنه ظل صامتا ناظرا إلى بعينيه السوداوين الحزينتين وشعره الخشن المجعد .. إنها التاسعة والنصف: أقول أنا . رغم ذلك لم يتكلم صاحبى . وبعد أن فرغت منه المرأة تماما، إنتظرت قليلا ثم دسست ذراعي كاملا فى صدره وأخرجت قلبه الذى وجدته كبيرا جدا، ثم أننى وزعته بالقسط كل فيما يخصه .

- قطعة لهديل - إبنته - وأخويها .
- قطعة للمرأة التى يحبها .
- قطعة للمرأة التى سوف يحبها .
- قطعة للأصدقاء والذى أنا فى حل من ذكر أسمائهم .

وبينما أخذت قطعة كبيرة لى وأضفتها إلى قلبى قمت بزراعة القطعة المتبقية بشارع المستشفى، أمام المحل، كى أتمكن من الهروب من ذاتى كل مساء من السابعة حتى التاسعة والنصف .. أو العاشرة .

---

* جريدة القناة *

كائنات صغيرة مبللة

١ - جلاويين يحقق حلمه

حين فوجىء بالمرأة عارية إنتابته موجة الضحك: كان الضحك ينساب من فمه بقوة وبسرعة كتيار جارف من الماء، رمش بعينيه الضيقتين وطوح بذراعه القصيرة تجاه الضوء: وطي اللمبة . لكنه لم يستطع أن يتماسك، كان جسده يهتز بعنف وينثني في حركة عصبية مقوسا ظهره وكأنه يتقيأ: وطي اللمبة . كانت المرأة قد إستدارت تجاه المصباح ونفخت فيه بقوة فإنطفأ: لأ .. ولعى .. بان له ظهرها وسط الظلمه كأنه أرض شاسعة مروية، يغمرها الماء وتنعكس أشعة ضوء القمر فتعطيها لمعانا وسط الظلام، أخذ يتأمل إنسياب القناة الفاصلة بين ضلعى الكتف نازلة إلى بداية المؤخرة فبانت ضخمة كجمل: ولعى .. لكنه أخرج علبة الكبريت من جيب (الصديرى) بصعوبة، إنتفض لحظة أن لامست أصابعه علبة السجائر الصاج في الجيب، كانت باردة وعدائية فخطف علبة الكبريت بسرعه وأشعل العود، وفي الضوء الخافت لعود الكبريت وهى تنحنى لتشعل المصباح إستطاع أن يتأمل صدرها الذى حلم به كثيرا .

كان قد كف عن الضحك إلا أن ذلك الشيء الذى بدأ يخربش فى داخله منذ اللحظة الأولى كان يشتد، لا إراديا، فلقد كان جسده يشهد للمرة الأولى فى حياته الخشنة تحقيق حلم، وهو يجد نفسه فجأة أمام فوزية . كانت قد هتفت به فى ضعف: جلاوبين .. فإلتفت، لم يصدق لحظتها أنها تقصده، كأن صوتها آتيا من خارج البلدة كلها، من خارج العالم، وفى الصمت الساكت الخبيث للبلدة تحقق النداء القديم، نداء الجسد.

٢ - التلميذة والعصفور

* سقط عصفور من فوق الشجرة، لسبب ما وقع من عشه، ربما كانت الريح الآتية من الغرب والتى هزت الشجرة بشراسة هى السبب أو تراكمات الماء الذى ينز من السماء العالية والذى نسميه مطرا، المهم، سقط العصفور الصغير من عشه فوق الأرض، وتبلل، وأخذ فوق الأرض السوداء الزلقة ينط، وينط .

* زعق المنبه فى إذن الرجل فإنتفض، هرول نحو أولاده وصرخ فى أذن الأم بأن تعد سندوتش المربى للولد وسندوتش اللانشون للبنت فى الوقت الذى كان "يسخن" فيه سيارته البيضاء الجميلة والتى إخترقت الشبورة ووقفت أمام المدرسة الثانوية .

نزل الرجل محتضنا ولديه وهو يعبر بهما الشارع ويسلمهما (كيمامتين صغيرتين) إلى مدير المدرسة .

* وها هى البنت الصغيرة السمراء التى تلبس البلوزة المستعارة من الجارات وصاحبة العينين السوداوين المكسورتين والتى تجعد شعرها فى ضفيرة وحيدة خشنة خلف رقبتها تقف مرتبكة أمام غرفة ناظر الإعدادى الذى يرفض

بحزم أن تدخل البنت الصف الدراسى الثالث إلا بعد دفع العشرين جنيها كاملة والبنت ترفض البكاء وتنزل إلى الشارع الذى كانت أرضه سوداء وزلقة .

• أخذ العصفور الصغير المبلل الذى سقط من الشجرة التى هبت عليها الريح ينط إلى أن وقف أمام البنت التى رفضت البكاء والتى تبللت ضفيرتها المجعدة خلف رقبتها فلمحته . وبحنو أم صغيرة إحتضنته بكفيها الصغيرتين فى ذات اللحظة التى مرقت بجوارهما فى وحشية سيارة الرجل — بيمامتيه الصغيرتين الدافئتين - فبللتهما .

٣ - صديقى الرائع الذى اختفى

منذ الوهلة الأولى أدركت أن تكوينه النفسى غير سوى، ربما للشطحات التى يغرق بها الغرفة بين الحين والآخر، ثم أنه حين يتكلم تشعر أن الكلمات القليلة التى تخرج من بين شفتيه لاتعبر سوى عن السطح وأن لكلماته عمقا ترفض أن يقترب منها أحد، وأن له عينين نفاذتين تعريان الأشياء، وأن جمله القليلة المتقطعة هى عناوين لموضوعات يخاف أن يطرحها أو يناقشها أمام الغرباء، كانت الغرفة غارقة فى الظلام حين سمعته يتأوه فجأة، آهه عميقة الجذور وممتدة وقوية، أشعلت الضوء فوجدت قبضته المتكورة تضرب الهواء المحيط، كما أنها لاتحاول أن تضرب شيئا بل أن تمسك بالشيء، كان مختلفا وغريبا فى وضعه ذاك، سيل من اللعاب ينزلق فى تؤدة من جانب فمه المفتوح فوق الوسادة، فقلت على أن أوقظه قبل أن يختنق، حتى أننى سمعته يتكلم، قمت بسرعة وأطفأت الضوء: أعتقد أننى لم أفعل شيئا مشينا، كما أننى قد نبهت منذ البداية، فأنا قد قلت لأمل أن تحافظ على نفسها من الخنافس

التى تقفز باستمرار من جهاز التلفزيون الملون الذى أصرت على شرائه، أنا بعيد الآن ولاأستطيع أن أساهم فى تشكيل مفهوم البنت، وليس ذنبى أبدا أن تنحرف هكذا، نعم لقد قلت ذلك، كما أن الجو شديد البرودة هنا، قارص جدا، ألم يخبرك جهازك الملون عن درجات الحرارة بالفندق، نعم، منذ مجيىء وأنا أسكن مع زميل مصرى إسمه عبد الحميد، كما أخبرتك فى خطابى الأخير، لقد قلت لكم كل شىء، كما أنه هو الذى دلنى على الفندق، حقا، ليس له علاقة بالأمر،لاأشاركه أبدا فى شىء سوى علب السردين التى نشتريها ونأكلها معا كل يوم جمعة، وأنت تعرفين يا ست أمل مدى حساسيتى من الخنافس، فلقد صارحتك بكل شىء أيام الخطبة، وشرحت لك كيف كانت تتمشى فوق ظهرى العارى وأنا هناك، وبطنى، وأنهم كانوا يحشرونها فى أفواهنا حتى لا نتمكن من الصراخ، وهى لابد تقفز الآن، من بطن جهازك الملعون ذاك، وتمرح فى شقتى .. فى إنتظارى .. عندما وصل إلى ذلك الحد كان على أن أوقظه، فكلماته كانت ترن فى وسط الظلام محدثة ضجيجا شبيه بضجيج سد جرانيتى عند إنهياره، كما أننى قد سمعت همسا بالخارج، ثم ضربات كضربات كعوب البنادق أمام باب الغرفة، فقمت مسرعا بوضع الفوطة تحت رأسه، وأغلقت له فمه، وسبلت له عينيه، وغطيته بالملاءة البيضاء الوحيدة التى كنا نحتفظ بها للمناسبات . وهاج فى داخلى فجأة إحساس مرير، قاتل، فاقعيت إلى جانب سريره فوق البلاط وأخذت أبكى .

٤ - كاتبة الآلة الكاتبة المنهكة

• هل يمكن أن أستمر هكذا ؟! زادت حدة ضرباتها فوق الآلة وأخذت فى غناء شديد تحملق فى الكلمات، لم تكن قبل

هذه اللحظة بالذات قد توقفت أبدا، لـم تـدر كنـه مـا باغتها فـى تمـام السـاعة التاسـعة والنصف وخمس دقـائق، بـالضبط، فـى الصباح، حيث أشعة الشمس خلـف زجـاج النـافذة المطلـة علـى شـارع الأزهـر سـاطعة وقويـة، وحيث تيـارات الهـواء المثلـج تخترق لحمها فى الداخل، أخذت تدحرج الكلمات فـى ذهنهـا، وتنظرهـا فـوق الـورق، وهـى تتحـول إلـى فعل، بالإشـارة إلـى كتابكم المرقم ...توقفت، تحولت الأرقام أمامها إلى أشياء، لكـل شيء دلالته وتداعياته، إستمرأت اللعبـة، وهكذا بـدت الصفحـة البيضـاء أمامهـا، وهـى تتحـول إلـى عـالم مـن الأشياء الحيـة، الملموسـة، وكأنهـا عـالم خـاص: مـالك يـا مـدام ؟! . جاءهـا الصوت من الخارج، خارج عالمها، فبدا وكأن ثمة شيئا صلبا قـد إرتطـم فجـأة بقشرة رأسـها الخارجيـة ثـم يتخلـل خصـلات شعرها الأسود فمسحت بيدها فوقه، وتطلعت، تفتحت عيناها فى لفتـة مباغتـة، كـان الرئيس متكـاملا، غايـة فـى إجـادة دوره، تأملت طرف قلمه الحبر اللامع ثم واصلت الدقـات الرتيبـة دون أن تحاول الولوج إلى عالمها من جديد .

• فى نفس اللحظة التى وقعت عينـاه فـوق طـرف قلمـه الحبر اللامع وهو يوقع، توقف، كانت مهمتـه هـى إلقـاء نظـرة خاطفة على السطور ثـم التوقيـع، تململ، تطلـع إلـى الخـارج، تمام التاسعة والنصف وخمـس دقـائق، وأشـعة الشـمس زاهيـة خلف الزجاج، فى الخارج، الحركة المتماوجة وضجيج العربـات وأصوات متماسكة، تطلع: نساء وشغالات واقفات فى الشـرفات ينشـرن الغسـيل أو يتشمسـن، يقـرأن الجرائـد، يداعبـن أطفـالا صغـارا وحيوانـات صغيـرة، تطلـع: شـبابيك مواربـة وأخـرى مفتوحة خلفها ملابس داخلية معلقة فوق الأسرة، فوق مؤخـرة المقاعد . تطلع: طيور سـوداء غامقـة تنطلـق بغتـة مـن أمـاكن

مجهولـة مخترقـة ذلـك الجـزء مـن الفـراغ المـوازى للزجـاج، طائرة إلى أعلى، فاردة أجنحتها فى حبور، فـاردة أجنحتهـا فى حبور .



* جزء فى أدب ونقد *

محمد يجلس مقرفصا أمام النار

فوجىء بالطرقات فوق الباب، فوجىء لأن الليل قد إنتصف وكان قد أغلق الكتاب وأطفأ الأباجورة ودفن نفسه تحت الغطاء، توجس، إلا أنه قد إضطر إلى القيام لفتح الباب حين إشتدت الطرقات، وهو يعبر الصالة سمع زوجته فى الغرفة المجاورة تتكلم بصوت مسموع، كانت الصالة مظلمة والطرقات تشتد كأنها طبول الحرب فخبطت قدمه بالكرسى الذى أمام التلفزيون فأحدث دويا هو الآخر وسمع صوت زوجته يعلو وهى ما تزال نائمة، توجس لأنه كان قد سمعهم يتكلمون عنه بشكل خاص، وتوقف عند باب المطبخ لأنه إشتم رائحة غريبة، وإشتم الخطر وراء الباب، هل هى رائحة الزجاجات البيضاء الصغيرة التى كانت تتسلل إلى معدته بعد صلاة الجمعة فى الحسين أيام كان صغيرا ؟ فكر فى أنه ربما كانت لأن شقته تقع فوق الزاوية التى يجتمعون فيها بعد صلاة العشاء، كان دائما مايراهم وهم ملتفون حول ذلك الرجل الشديد البياض الأخضر العينين الطويل اللحية والذى يلف رأسه بشال أبيض، وأحيانا وفى وقت متأخر من الليل يكون راجعا فاقدا التوازن تماما من فعل البيرة والحمامات التى يطلقها رفاقه فى الهواء حاملة لغة الشعر المتوحشة، يلمحهم وهم يلتفون فى دائرة فوق موكيت

المسجد الصغير - الذى كان لونه أخضر وجديدا - يلتفون فى حلقة واحدة أو حلقات وهم يهمسون ويطوحون بأيديهم فى تشنج واضح ولحاهم الشديدة السواد تهتز من فرط الإنفعال، يلمحهم وهو يهتز فى مشيته فيلوذ بالمدخل المظلم ويمرق إلى الداخل، كان صوت زوجته قد علا الآن، هى تتكلم كثيرا وهى نائمة ربما لأنها لاتنام كثيرا، قال لابد أنها سوف تصحو لأن الحرب قد بدأت وفكر فى مدى قدرتها على المقاومة لأنها ضئيلة الجسد، وإعتقد بأنها سوف تصمد مهما حدث فهى صلبة رغم ضآلتها، الرائحة إشتدت وتضخمت وهو يهم بإضاءة نور المدخل، الرائحة التى كان يلتقطها الشيخ فى راحة يده فى صحن الحسين فيمسحها بسرعة قبل أن يلمحه لأنها تحدث فى أمعائه غثيانا وفى عقله توقفا، نفس الزجاجة البيضاء الصغيرة والتى تشبه زجاجة كوكاكولا فى إعلان، وهو يحاول تذكر إسم الرائحة كان باب الشقة قد فتح عنوة، فدخل الرجل الشديد البياض ذو اللحية وهم وراءه، وبرغم أن اللمبة الصغيرة بالمدخل كانت قد أضيئت إلا أنه لم يتمكن من عدهم، دخلوا بهدوء وبآلية، أزاحوه بعنف جانبا فارتطم بالجدار المواجه للمكتبة، إنتبه إلى أنهم يلفون حول وسطهم حزاما جلديا عريضا ذا جيوب وبأنهم يرتدون تحت جلاليبهم البيضاء - القصيرة تحت الركبة مباشرة - سراويل بنية أيضا وأنهم يحملون فى أيديهم سلاسل حديدية تشبه الجنازير. أدهشه أنهم لم يوجهوا إليه حديثا، كان يرغب فى أن يكلمهم إلا أنهم قد بدأوا فى العمل فورا، أزاحوا الترابيزة التى فى وسط الصالة أمام المكتبة جانبا وكوموا الكراسى فوق بعضها مثل كراسى المقاهى التى تشطب، وبدأوا فى إنزال الكتب من فوق الأرفف ورصها وسط الصالة فوق البلاط الذى بدا متسخا - بعد أن

أزاحوا السجادة أيضا ـ كانوا يفعلون ذلك فى صمت وبحزم ودربه وهو مقرفص فى ركن الصالة ينظر إليهم، إلى أن جاءه صوتها من الداخل: محمد .. بتعملى إيه يا قطة ؟

هذه لغتها، المختصرة النعسانة، أيرد عليها ؟ هل يمكن أن تخمن ما يحدث ؟ وما هذا الطعم الذى فى حلقه ؟ وهى ـ بعد الندهة ـ قد إنتظرت قليلا، هى ترى نور الصالة مضاء وتعرف أنه ما زال يقرأ أو يكتب وأنه لن يرد عليها . هل تقوم ؟ لماذا لايجىء هو ويترك هذا الشىء الذى سوف يقتله يوما وينام فى حضنى، أضمه ويضمنى ويدخل لسانه فى فمى ويلعق سرتى فى جنون حتى يهدأ دمه ويعرق ويستريح ؟ سأقوم أنا لأدخل الحمام وأعمل كوبين من الشاى . ثم أنها زعقت: أعملك شاى ياقطة ؟ قلت له فى المرة الأولى بأنه لايعرف كيف يصنع شايا فضحك وهمس لى بأنه لايعرف شيئا سوى القراءة وقال: الكتب وجسدك فقلت له لماذا لاتقول شعرى مثلا أو عينى، وكان فى عيني غضب فسحبنى إلى غرفته ووضع لسانه فى فمى وكانت هذه أول مرة فأحسست بتشنج فى جسدى وتركت له الشقة بسرعة ونزلت إلى الشارع وأنا أرتعش لأن هذه كانت أول مرة، ثم أنها زعقت مرة أخرى: محمد أعملك شاى ؟

ماذا يحدث لو يرد عليها ؟ وجدهم منهمكين فى إنزال الكتب من فوق الأرفف ورصها فوق البلاط بنظام وفى بطء، الرجل الأبيض قد جلس قبالته تماما ولكن فوق الكرسى الوحيد ـ الذى كان باقيا ـ وهو يطوح الجنزير فى فى الهواء فيكاد طرفه يخبط لمبة السقف، وسمع عواء كلب فى الشارع يكسر السكون فى غلظة، ونداءات غامضة تأتى من أزمنة سحيقة وطعم الدم المتخثر فى حلقه حتى جاءت كلمة "شاى" من بعيد فقال لها: جسد عرسة . فغضبت وقالت: أنا عرسة ؟! طيب يا

قطة، وكان يجرى فوق الشاطىء وهى تهاجمه، يجرى وهى تهاجمه إلى أن يصل إلى مكان خال فيضع لسانه فى فمها ويربت فوق شعرها الناعم جدا الكستنائى المقصوص فى شبه دائرة محيرة والذى يلمع في الشمس ويقول لها أنا أحبك ولكن فوق كاهلى مهمات جسام فتضحك وتقول له أعرف، ويحبها أكثر عندما تضحك وتظهر أسنانها البيضاء غير المرتبة وتقول له أعرف وأنت سوف تعلمنى وينظر فى عينيها اللتين بلا لون محدد ويقول طبعا سأعلمك .. سأعلمك .

وهكذا، كانوا قد إنتهوا من إنزال جميع الكتب من فوق الأرفف فبانت المكتبة كهيكل عظمى لرجل إفترست النسور لحمه، وكان ينظر إليهم وهو مقرفص فى الركن، كانت عيناه خاليتين من أى تعبير وهو ينظرهم فبانت ككهفين خاويين وهم ما برحوا مستمرين فى ترصيص الكتب فوق البلاط فى شكل أهرامات متلاصقة، ثم أن الرجل الأبيض قد وقف فجأة فوقفوا، وإلتفوا حول الكتب فى حلقة كبيرة تملأ الصالة وبدا كأنهم سيمارسون طقسا معينا، أخرج الرجل من جيب حزامه زجاجة بيضاء صغيرة ورش ما بها فوق الكتب فاشتم رائحة البنزين، إلا أن الزجاجة كانت من نفس نوع الزجاجات الصغيرة التى كانت رائحتها تتسرب إلى معدته فتحدث بها غثيانا، وبعد أن إنتهت الزجاجة تماما أخرج أحدهم قداحة ذهبية على شكل نسر محلق وبص ناحية الرجل ذى العيون الخضر الذى قال له بصوت خاشع لكنه حازم: توكل على الله .

---

* مجلة الثقافة الجديدة *

محتويات

صدر فى هذه السلسلة

* × السينما التسجيلية ٧٠-٨٠
  علي أبوهادى
* × الطاحونة "مجموعة قصصية"
  محمد عبداللة عيسى
* × الخروج من حدائق البرتقال
  "مجموعة قصصية"
  نحاس راضى
* × أحب الناس "شعر بالعامية"
  حافظ الصادق
* × أزواج وزوجات "كتاب كاريكاتير"
  محمد حافظ